مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة :

الدكتور محمد مصطفى حلمى	أبو بكر ذكرى
» محمد يوسف موسى	محمود شلبى
» عبد الحليم محمود	محمد هارون الحلو
» محمد جمال الدين الفندى	ابراهيم محمد البطاوى
» محمد البهى	أبو الوفا التفتازانى
» محمد مظهر سعيد	محمد محمود علوان
المستشرق .. نيكولسون	محمد صبيح

طه عبد الباقى سرور

والأبواب الثابتة ، منهج التصوف . قصص الصالحين ، تعريفات صوفية ، ندوة الشهر ، أسئلة القراء ، منبر المجلة ، أخبار صوفية

الثمن ٥ مـ

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثاني ـ الثلاثاء ، ١٤ من ذي الحجة عام ١٣٧٧ هـ ـ أول يولية عام ١٩٥٨ م

الروح الصوفي
هو السلاح السري للعالم الاسلامي

لسماحة السيد الأستاذ محمد محمود علوان

.. اللهم لك يسجد القلم في يدي ، اجلالا وشكرا ، فقد أفضت علينا من نعمائك ، وأسبغت علينا من احسانك ، فأفسحت في قلوب عبادك لصحيفتنا مكانا رحبا ، وقبولا حسنا ، واعجابا وحبا ، دل على كل ذلك ، الرسائل الكريمة الكثيرة التي توالت علينا من مختلف البلدان العربية والاسلامية ، تبارك رسالتنا الصوفية ، وتعقد الآمال على صحيفتنا الاسلامية ..

ومن حقائق تاريخنا ومن آياته ، أن التصوف كان دائما أبدا ، الأفق الأعلى للفكرة الاسلامية ، والوجه الأكمل لأخلاقها وآدابها ، والروح المضيء في حضارتها ، والشعلة المتقدة الدافعة في قلوب أبنائها ، والمعراج الذي تصعد عليه الى سيادتها وقوتها ..

وهل التصوف الا تلك الصبغة الربانية التي فطر الله الناس عليها ، الناس الذين اصطفاهم وزكاهم ، وصلى عليهم ، وطهرهم وباركهم ، ليكونوا

خلفاء أرضه ورسله ، وليكونوا شهداء على الناس بالقسط ، وليكونوا خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيم موازين الحق ، وتحطم مناهج الضلال والفساد والطغيان .

وهل التصوف الا جماع تلك الصفا تالايمانية المهذبة التى تدعو الناس الى خالقهم ، بالحب ، والذكر ، والتقوى ، ومراقبة الخـــواطر ، وتزكية الحواس ، وتطهير القلوب .

تلك الايمانيات التى تربط الانسان دائمـــا بالله ، وتصعد به فى سلم الحياة درجات ودرجات ، ليكون خيرا لنفســـه ، وخيرا لأمته ، وخـــيرا للانسانية كافة ..

وهـــل التصوف الا تلك الأخلاق العاليـــة التى هى الخلاصة المنيرة الزكية ، لكل دعوة سماوية ، أخلاق الصدق والأمانة والوفاء والايثار والنجدة والكرم ، ونصرة الضعيف واغاثة الملهوف ، والتعاون عـــلى البر والتقوى ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، والتسابق الى فعل الخير أيا كانت سبله ووجهاته .

وهل التصوف الا تلك المثاليـــة المقتبسة من روح القـــرآن ، وحياة الرسول ، ومحبة الله والفناء فى تقواه ، تلك المثالية التى كونت للعـــالم الاسلامى فلسفته ، ورسمت حدود رسالتـــه ، ودفعته لقيادة البشرية الى حياة الأمن والهدى والسلام .

ذلك هو الروح الصوفى الذى كان يتلألأ فى جبين كل فرد من صحابة رسول الله ، ليجعل منه اماما فى المحراب ، وقائدا فى الميدان ، ورسولا من رسل الحضارة والأخلاق ..

لقد كان الروح الصوفى هو القوة الكامنة وراء العزة الاسلامية التى لم تهن أمام الدنيا ، ولم تذل حيال بريقها ، ولم تلن أمام وثبات الجاهليـــة الباغية وحشودها عبر السنين والقرون .

كان الروح الصوفى ، هو درع الحمـــاية والوقاية للعقائد والفضائل والآداب والحضارة الاسلامية .

كان الدرع السرى الذى حفظ الأمة الاسلامية من التفكك والانهيار أمام كل غزو خارجى .

كان القوة السرية التى حمت الايمان وصانته فى قلوب المسلمين أمام التيارات والزحوف الالحادية والمادية والانحلالية .

كان السلاح السرى الذى كفل النصر فى كل معركة خاضها المسلمون فى ميدان الرأى والفكر والقتال .

سئل جندى اسلامى من الرعيل الأول ، رعيل الخلق الصوفى ، والايمان الصوفى ، والروح الصوفى ، كيف انتصرتم على فارس والروم وهم أكثر منكم عددا وعدة وسلاحا . فقال :

« انتصرنا لأن الرجل منا كان اذا رأى سهما منطلقا الى صدر أخيه الذى

بجواره ، قفز من مكانه ، ووقف أمامه ليتلقى السهم عنه ، ويفتديه بنفسه .. !

وانهزم أعداؤنا ، لأن الواحد منهم ، اذا رأى سهما مقبلا عليه قفز من مكانه واحتمى وراء من بجواره ، فكان كل منهم يبيع حياة أخيه ليشترى حياته . »

واليوم والأمة العربية تدوى من حولها العواصف العالمية ، ويتربص بها جبابرة عتاة بغاة ، على أبصارهم غشاوة ، وفى قلوبهم جاهلية ، وفى مخالبهم دما ، يريدون أن يطفئوا نور الله ، وأن ينالوا من نهضتنا ورسالتنا وأن يعيدونا الى قيودهم وسلاسلهم وأحلافهم ، لا عاصم لنا اليوم أكبر وأقدر من هذا الروح الصوفى المؤمن ، القوى بأخلاقه ومعنوياته ، وطهارته وفدائيته ..

انه الذخيرة الحية فى كل معركة ، انه الدرع الواقى ، والسلاح السرى المنتصر ..

أيها المتصوفة فى كل مكان ، ان عبادة الله لايستقيم ميزانها ، الا بالجهاد فى سبيل الله ، فى سبيل خير أمتكم ، ورفاهية شعبكم ، وحماية وطنكم ..

أيها الصوفية ، لقد كنتم دائما حراس الفكرة الاسلامية ، وحماة اسوارها وحدودها وبلادها ، طوال التاريخ ، واليوم تدق الأجراس ، أجراس فيها وعيد وتهديد ، فتقدموا صفوف المجاهدين بأخلاقكم وايمانكم وايثاركم وقلوبكم وصدوركم ، أن تنصروا الله ينصركم ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

« محمد محمود علوان »

تهنئة بالعيد ..

يصدر هذا العدد من صحيفتنا والعالم الاسلامى يحتفل بعيده الأكبر ، والحجيج فى الأرض المقدسة مهللين ومكبرين ، وداعين ربهم أن يقبل حجهم وأن يبارك حياتهم ، وأن يهب المسلمين النصر والقوة والسيادة .

ومجلة « الاسلام والتصوف » تتقدم الى الأمة الاسلامية بالتهنئة الخالصة بالعيد المبارك ، وتسأل الله جل شأنه أن يعيده على المسلمين بالخير والبركات واليمن والتوفيق

وعـــدا عليـــه حقـــا ..

بقلم رئيس التحرير

الصوفية ليست بمعزل عن الاحـداث الكبرى التى تحيط بنـا هـذه الأيام ..

ان أصواتا منكرة يرتفع صوتها من بعيد ، تقول ان طائراتها ، وقنابلها الذرية ، على أهبة الاستعداد لكى تحول بلادنا الآمنة المطمئنة الى سـاحة حرب ، وميدان معركة ..

ولسنا نعلم اننا بغينا على أحد ، أو نلناه بأذى .. وكل ما يقلق القـوم منا ، انا نريد أن نحيا حياتنا كما نريدها ، نعبد ربنا على طريقتنا ، ونسعى فى مناكب الارض التى عاش فيهـا آباؤنا وأجدادنا .. ونأمل أن نتركها لابنائنا من بعدنا أكثر رخاء وأوفر أمنا وأمنع جانبا .

هل كبر عليهم أننا فككنا قيود الذل والاستعمار من أيدينا وأرجلنا ، ورددنا الكيد القديم الذى كادوه لنا فى أيام حروبهم الصليبية ضـدنا ، وكيدهم الحديث فى أيام غردون وكتشنر واللنبى وأمثالهم ؟!

هل كبر عليهم أن نقول اننا أحرار فى هذه البلاد ، لا نريد أن نعتدى على أحد ، ولا أن يعتدى علينا أحد ؟!

هل كبر عليهم اننا سرنا قدما فى طريق الكرامة والعزة الذى شقته ثورة الأحرار ، فسالمنا من سالمنا وعادينا من عادانا ؟!

من يحسبنا هؤلاء الأبالسة ؟

هل قدروا نار الغضب التى تشتعل فى قلوبنا ضـد هـذا التهـديد والوعيد ؟

ألم يأتهم نبأ الآباء من أبنا هذه البلاد الذين فرض عليهم دينهم ، وعلمهم نبيهم ألا يستكينوا للضيم وألا يخنعوا ، أو يخضعوا ؟!

ان ربنا تباركت آياته ، وتقدست أسماؤه ، يأمرنا ألا نخشى الذين ظلموا حق نعمته عز من قائل :

« ... الا الذين ظلموا منهم ، فلا تخشوهم واخشونى ، ولأتم نعمتى عليكم ، ولعلكم تهتدون »

ان الله العلى الاعلى وعدنا بالنصر ، اذا نحن قاتلنا فى سبيله وتمسكنا بدينه . فهو الذى يقول :

« قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى

كافرة . يرونهم مثليهم رأى العين . والله يؤيد بنصره من يشاء . ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار »

ان قرآننا الكريم ، يهدينا الى الطريق التى يجب أن نسلك ، والتى لن نضل بعدها أبدا ..

ان صورة التوبة تطلع علينا بآية الآيات اذ تقول :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن . ومن أوفى بعده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »

هذا هو عد الله .. ونحن قوم نعرف ربنا ونراه فى قيامنا وقعودنا .. فى حركتنا وسكوننا .. نراه ونستعين به فى كل أمورنا .. والله هو الذى يأمرنا ألا نخشى سيف الكفران ، حتى ان كان هذا السيف قنبلة ذرية .. أو ما هو أشد منها هولا ..

أتريدون استعبادنا ثانية ، وقد أنجانا الله من شر ما دبرتم وتدبرون ..

أتريدون استرقاقنا مرة أخرى ، وفينا نفس يتردد ..

معاذ الله ، ومعاذ ايمان المؤمنين ، ومعاذ تجرد المتجردين ، ومعاذ رجولة الرجال ، ومعاذ ميراث البطولة والأبطال ..

أبالموت تخوفوننا ؟ ..

تالله ان الموت فى سبيل عقائد الاحرار ، لهو الحياة الثانية ، والخلد المقيم ..

ان الذى قال : « عجلت اليك ربى لترضى » هو أبى ، وهو أبو كل عربى فى هذه البلاد .. واذا جد الجد ، ونادى المنادى ، فكلنا أبناء هذا الأب الكريم ..

ان رقابنا لن تسترق بعد اليوم ، ملكتم القنبلة الذرية ، أو ملكتم ما هو أكثر شرا منها ..

ان أرواح المجاهدين على مر القرون .. المجاهدين فى سبيل الله ، ورفع كلمته ، ونصرة دينه ، لتحلق اليوم فوق رؤوسنا ، وتدعونا الى عمل كبير ، والى مجد كريم ..

هل تتربصون بنا الا احدى الحسنيين : النصر أو الشهادة .. انا الى واحدة منهما أشوق ما نكون ..

« محمد صبيح »

حديث النفس

صفحات ونفحات

بقلم
الدكتور محمد مصطفى حلمى
استاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب
جامعة القاهرة

هذه صفحة رائعة من صفحات رائعة كثيرة خلفها الزهاد والعباد الأولون من المسلمين ، وخلفوا معها تراثا نفسيا وخلقيا قيما كان له خطره العظيم وأثره البعيد فى تاريخ الحياة الروحية الاسلامية : فالنفس الانسانية هى المحور الذى يدور عليه الحديث فى هذه الصفحة ، وفى غيرها من الصفحات التى أرجو ان أقف عندها فى مقالات مقبلة . وحديث النفس الانسانية ها هنا ليس حديثا عنها فحسب ، وانما هو حديث عنها وحديث اليها معا ، فيه يتحدث الزاهد العابد المسلم عن نفسه فيتصفحها ويتأملها ، ويحللها ويعللها ، ويبين نزواتها وشهواتها ، ويصف أمراضها وآفاتها ، وفيه يتحدث الى نفسه فيلومها ويزجرها ، ويخوفها وينذرها ، ويدعوها الى التخلى عن عيوبها والتوبة عن ذنوبها ، والى مفارقة بدنها والعودة الى ربها ، ويصور لها ما هى واجدة فى حياتها الأخرى من عقاب على ما اجترحت من سيئات ، ومن ثواب على ما قدمت من حسنات . والزاهد العابد فيما يتحدث به عن نفسه أو الى نفسه من هذا كله ، ومن ألوان الرياضة والمجاهدة ، وما اليها من وسائل التصفية والتنقية ، انما يقدم لنا صورة اخلاقية لما ينبغى أن تكون عليه حياة المسلم المتحقق بالاسلام ، المحقق لمبادىء الاسلام ، سواء فى صلته بربه ، أوصلته بأشباهه ، أوصلته بنفسه .

ولعل أظهر ما يظهر من سمات اتسمت بها هذه الصفحات التى خلفها الزهاد والعباد الأولون فى تاريخ الحياة الروحية الاسلامية ، هو أن أصحابها الذين جرت ألفاظها وعباراتها على ألسنتهم ، انما كانوا يصدرون عن خوف ورجاء من ناحية ، وعن حزن وبكاء من ناحية أخرى ، خوف من

عذاب النار ، ورجاء فى نعيم الجنة ، وحزن مما ولدته الخطيئة والمعصية فى نفوسهم من ألم وحسرة ، وبكاء مما فات من الأجل فى الامعان فى لهو الحياة الدنيا ، وعلى ما قد ينقطع من الأمل فى حسن العقبى . ومن هنا كانت حياة أولئك الزهاد والعباد ، سواء من كان منهم من الصحابة أو التابعين ، ومن كان من الطبقات الأخرى التى جاءت فى أعقاب التابعين ، هى الصورة الأولى للحياة الروحية الاسلامية التى أخذت تتطور بعد ذلك مع الزمن ، وتتطور بحكم هذا التطور بصور عدة ، ولكنها على تعددها تستمد مقوماتها من تلك الحياة الأولى التى كان يحياها المتقدمون من الزهاد والعباد والنساك والفقراء والبكائين الذين ليسوا فى الحقيقة الا بمثابة الأغصان المذهرة اليانعة من شجرة النبوة النضرة المباركة .

وحديث النفس عن النفس والى النفس ، الذى أحب ان أقف عنده اليوم ، هو لزاهد من زهاد الأولين المسلمين ، تحدث فيه عن نفسه تارة ، وتحدث فيه الى نفسه تارة أخرى ، وهو فيما بين الحديثين يظهرنا على ذات نفسه ، ويكشف لنا عما انطوت عليه هذه النفس من نوازع الهوى ، ودوافع الشر ، وما أغرقت فيه من خطيئة ومعصية ، وما عرض لها من ندم وزجر وانزجار ، وما أخذها به من توبة وانابة واستغفار ، وهذا الزاهد هو عون بن عبد الله بن عتبة .

كان عون بن عبد الله بن عتبة من التابعين ، أدرك جماعة من الصحابة ، وسمع عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأبا هريرة ، وروى عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ، وصحب الشعبى ، والأسود بن يزيد ، وطائفة صالحة من التابعين من أهل الكوفة وغير الكوفة من الأمصار ، وعنه روى جماعة من أئمة التابعين وأعلامهم . وكما كان عون معدودا فى التابعين ، فقد كان أبوه معدودا فى الصحابة ، اذ أدرك النبى صلى الله عليه وسلم : فمنزلة عون من الصدر الأول للاسلام منزلة لها خطرها وأثرها فى تقويم الحياة الروحية الاسلامية فى أول عهدها ، ذلك بأنه كان من الأقبال على الله ، والدأب على ذكر الله ، والزهد فى الدنيا والاعراض عنها ، والخوف من نفسه والتخويف لها والبكاء عليها ، والترديد الذى لا يكاد ينقطع لذكر

خطيئته والإشفاق منها ، كان من هذا كله ومن غيره من رياضة نفسه ومجاهدتها ، وكبح جماح حواسه ومعاندتها ، بحيث صورة أبو نعيم الاصفهانى فى هذه الصورة التى عبر عنها بقوله : « كان لمسير الأجل مبصرا ، ولغرور الأمل محذرا ، وكان على نفسه نائحا ، والى الحق رائحا » . وليس من شك فى ان أصدق مرآة تتجلى على صفحتها حياة عون الروحية ، هو حديثه عن نفسه والى نفسه ، هذا الحديث الذى تستمد عناصره من مواعظه ووصاياه بصفة عامة ، ومن وعظه لنفسه وبكائه من خطيئته بصفة خاصة .

وها نحن أولاء نقرأ حديث عون عن نفسه أو حديثه الى نفسه ، فاذا بهذا الحديث أو ذاك أمعن ما يكون فى الخوف والتخويف ، وأوغل ما يكون فى التهديد والوعيد ، وأفعل ما يكون فى النفوس والقلوب والعقول جميعا ، وذلك لما يتردد ويشيع فى كل من الحديثين من كلمات الرحمة مثل « ويح » و « ويح نفسى » و « ويحها » و « ويحى » ، ومن كلمات العذاب مثل « ويل » و « ويل نفسى » و « ويلها » و « ويلى » ، وما الى ذلك من الألفاظ والعبارات والفقرات التى يرتبط بعضها ببعض ، ويعبر كلها عن أقوى المعانى النفسية والأخلاقية التى تتصل بالنفس الانسانية ، وبما تغرق فيه هذه النفس من معصية ، وما تطمح اليه من رحمة ومغفرة . وليس أدل على هذا كله من قول عون وهذا نصه :

« ويحى ! بأى شىء لم أعص ربى ، ويحى ! من خطيئة ذهبت شهوتها ، وبقيت تبعتها ، عندى فى كتاب كتبه كتاب لم يغيبوا عنى ، وأسوأتاه ! لم استحيهم ، ولم أراقب ربى ، ويحى ! نسيت مالم ينسوا منى ، ويحى ! غفلت ولم يغفلوا عنى ، لم أستحيهم ولم أراقب ، وأسوأتاه ! ويحى ! حفظوا بما ضيعت منى ، ويحى ! طاوعت نفسى وهى لا تطاوعنى ، ويحى ! طاوعتها فيما يضرها ويضرنى ، ويحها ! ألا تطاوعنى فيما ينفعها وينفعنى ، أريد اصلاحها وتريد ان تفسدنى ، ويحها ! انى لأنصفها وما تنصفنى ، أدعوها لأرشدها ، وتدعونى لتغوينى ، ويحها ! انها لعدو لو أنزلتها تلك المنزلة منى ، ويحها ! تريد اليوم ان تردينى وغدا تخاصمنى ... »

وان عونا ليذكر خطيئتـه ، وما لها من أثر فى نفسه ، ويتسـاءل كيف لا تقض الخطيئة مضجعه ، ولا تسيل مدمعه ، كل ذلك فى دهش وتعجب واسترحام على الوحه الذى يدل عليه قوله :

« ويحى ! أزعم ان خطيئتى قد اقرحت قلبى ، ولا يتجافى جنبى ، ولا تدمع عينى ولا تسهر ليلى ، ويحى ! كيف أنام على مثلها ليلى ، ويحى ! هل ينام على مثلها مثلى ، ويحى ! خشيت ان لا يكون هذا الصدق منى ، بل ويلى ! ان لم يرحمنى ربى ، ويحى ! كيف لا توهن قوتى ، ولا تعطش هامتى ، بل ويلى ! ان لم يرحمنى ربى ، ويحى ! كيف لا أنشط فيمـــا يطفئها عنى ، بل ويلى ! ان لم يرحمنى ربى ... »

وهو يذكر نفسه بما تأتى ، وبما ينبغى ان تدع ، كما يذكرها بالمسئولية والجزاء ، وبما هى ملاقية عند ربها من ثواب أو عقاب ، وذلك على الوجه الذى نتبينه معه من قوله :

« ويحك يا نفسى ! مالك لا تنسين ما لا ينسى ، وقد أتيت ما لا يؤتى ، وكل ذلك عنـد ربك يحصى ، فى كتـــاب لا يبيد ولا يبلى . ويحك ! ألا تخافين أن تجـزى فيمن يجزى ، يوم تجزى كل نفس بما تسعى ، وقد آثرت ما يفنى على ما يبقى ... »

ويتجاوز عون حـديثه عن نفسه والى نفســه ، الى حديثـه عن أنفس غيره ، وعما تنطوى عليه هـذه الأنفس من غرور وغفلة وجهـالة ، كما يذكرنا بما يجرى على أفواهنا من أقوال ، وعلى أيدينا وأرجلنا من أفعال ، وذلك اذ يقول :

« ويح لنا ما أغرنا ! ويح لنا ما أغفلنا ! ويح لنا ما أجهلنا ! ويح لنا لأى شىء خلقنا ؟ للجنة أم للنار ؟ ويح لنا أى خطر خطرنا ! ويح لنا من أعمال قد أخطرتنا ! ويح لنا مما يراد بنا ! ويح لنا كأنما يعنى غيرنا ! ويح لنا ان ختم على أفواهنا ، وتكلمت أيدينا ، وشـهدت أرجلنا ! ويح لنا حين تفتش سرائرنا ... »

على ان حديث النفس عند عون قد يتجاوز هذا كله ، الى حديث آخر

عليه أروع وأمتع ، لأن المخاطب فيه والمتحدث عنه أعز وأمنع ، وأعنى بهذا الحديث الآخر مناجاته لربه ، ولكنها مناجاة لا تكاد تخلص من حديث النفس ، وانما هى مناجاة يمتزج فيها حديثه الى ربه بحديثه عن نفسه ، فيخرج لنا من هذا المزاج دعاء يهز النفوس ، ورجاء يملأ القلوب ، فاذا هى ترجو الخلاص من الشر ، والتحقق بالخير ، على الوجه الذى تجنب فيه الهلاك ، وتكتب لها معه النجاة ، وذلك على نحو ما يظهرنا عليه عون فى قوله :

« رب ، لا تسلطها على ذلك منى ، رب ، ان نفسى لم ترحمنى فارحمنى ، رب ، انى أعذرها ولا عذرتنى ، انه ان يك خيرا أخذلها وتخذلنى ، وان يك شرا أحبها وتحبنى ، رب ، فعافنى منها وعافها منى ، حتى لا أظلمها ولا تظلمنى ، واصلحنى لها وأصلحها لى ، فلا أهلكها ولا تهلكنى ، ولا تكلنى اليها ولا تكلها الى ... » .

وكما كان الثواب والعقاب ، وابتغاء أولهما ، واتقاء ثانيهما ، هى العوامل التى عملت عملها فى زهد عون بن عبد الله بن عتبة وآتت أكلها فى حياته الروحية ، وظهرت دلائلها فيما ضربنا به الأمثال من مواعظه ، فكذلك كان شأن هذه العوامل فيما اثر عنه من مناجيات . ولعلنا اذا أردنا ان نخلص من كل ما تقدم الى فكرة تجمل مذهب هذا الزاهد المسلم ، وتصور دوافعه النفسية ونوازعه الروحية ، لم نجد مختتما نختتم به هذا الحديث خيرا من مناجاة عون الله ، وذلك حيث يقول :

« رب ما أرفع حجتك ، وأكثر مدحتك ، رب ، ما أبين كتابك ، وأشد عقابك ، رب ما أكرم مآبك ، وأحسن ثوابك ، رب ، ما أجزل عطاءك وأجمل ثناءك ، رب ، ما أحسن بلاءك ، وأسبغ نعماءك ، رب ، ما أعلى مكانك ، وأعظم سلطانك ... » .

محمد مصطفى حلمى

التصوف الاسلامى
رسالة للأخلاق والتسامى

للأستاذ طه عبد الباقى سرور

عن سعيد بن هشام قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت : أخبرينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ قوله تعالى : « **وانك لعلى خلق عظيم** »

كان خلقه القرآن ، كلمة فيها نور ، وفيها الهام ، تصور لنا فى جلال شرق ، ولحن مبين ، أسمى ، وأكمل ، وأخلد ، ما يتصف به بشر مختار مصطفى ..

تصور لنا العلاقة الخالدة بين الرسالة والرسول ، بين القرآن ومن تنزل عليه القرآن ، بين أكمل الخلق وأكمل الرسالات ، بين النور والكتاب : « **لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** » .

كان الرسول صلوات الله عليه ، هو الصورة الآدمية ، لمعانى القرآن ، كان التفسير الحى لحقائق الفرقان ، كان المثل الكامل ، للنور المفاض . « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » .

كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، هو نقطة البداية التى تنبثق منها الدعوة ، كان المنارة المشعة التى يسير على نورها وهداها ، رجال اختارهم الله ليكونوا أصحابا لرسوله فى حياته ، وأصحابا لرسوله فى دعوته ..

ومن هنا كان شرط الايمان الأول ، أو شرط الايمان الكامل ، هو الحب لرسول الله ، يقول صلوات الله وسلامه عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده وأهله وماله والناس أجمعين » .

ثم التخلق بخلقه عليه السلام ، والاهتداء بهديه ، والسير على خطوه ونهجه ، يقول صلوات الله عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ويقول سبحانه وتعالى محرضا عباده على الاقتداء والتخلق بالانسان الكامل خاتم النبيين وسيد المرسلين : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

ولقد قام التصوف الاسلامى منذ يومه الأول على خطو رسول الله صلوات الله عليه ، متخذا منه اماما هاديا ، ومثلا أعلى يقتدى به ، فى معاملاته ومناجاته ، وعباداته ومجاهداته ، وأخلاقه وأشواقه .

ومن خلق الرسول - وهو القرآن - ومن حياته وصفاته - وهى الدعوة - ومن مناجاته وعباداته - وهى السلوك - كون التصوف الاسلامى اشراقاته وفتوحاته وعلومه وهديه ومنهجه ، وأخذ طابع تلك الحساسية الايمانية الصاعدة الى الله ، التى تميز بها وعرف .

يقول الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه : « اقتدوا بالذين من بعدى ، أبى بكر وعمر ، واهتدوا بهدى عمار ، وتمسكوا بعهد أبن عبد - ابن مسعود - » .

فجعل الرسول من ايمان الصديق ، ومن تقوى عمر ، ومن عهد ابن مسعود ، ومن هدى عمار ، نماذج صالحة يقتدى بها فى السلوك والمعاملة كما يقتدى بها فى الايمان والتقوى .

نماذج تقدم لنا صورا من الحساسية الايمانية الصوفية ، ومن مثالياتها الخلقية الصاعدة .

يشرب أبو بكر يوما لبنا من كسب عبده ، ثم يساله عن مصدره ، فيقول تكهنت لقوم فاعطونى ، فيدخل أبو بكر أصبعه فى فمه ، ويتقايأ ما فى جوفه حتى ظن أن نفسه ستخرج ، ثم قال : « اللهم انى أعتذر اليك ، مما حملت العروق وخالط الأمعاء !! »

ويرى عروة بن الزبير ، عمر بن الخطاب يحمل على عاتقه قربة ما ، فيقول يا أمير المؤمنين ما ينبغى هذا ؟ قال : « لما جاءتنى الوفود سامعين مطيعين . أعجبتنى نفسى ، فاردت أن أذلها » ، ثم مضى بالقربة الى أرملة بأطراف المدينة توفى زوجها ولا عائل لها ولا خادم .

وتنهال قريش بالعدوان الوحشى على عمار وآله ، فتمزق جسده بالسياط ، وتقتل أمه بالحراب ، وتصب العذاب على والده الشيخ الضعيف ، وعمار يهتف من أعماق قلبه : « كل عذاب فى سبيل الله يهون . اننا ننشد رضاء الله » .

ويقول ابن مسعود ، والمسلمون قلة فى مكة يتخاطفهم الناس ، والله لأسمعن قريشا اليوم ما تكره ، فيقعد فى مفترق الطرق الى الكعبة ويتلو آيات الله ، وتنهال عليه قريش ضربا وصفعا ، حتى يتمزق وجهه ، فاذا عاد الى الرسول قال : « يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما كانت قريش أهون على مما كانت اليوم ، والله لأسمعنها غدا ما تكره ، ويحب الله .. »

قام التصوف الاسلامى على هذه النماذج العالية من الدين والخلق والفداء ، قام ليتجه بكل أعماله الى الله ، خالصة له « **الا لله الدين الخالص** »

جاء فى الحديث القدسى : « **انما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى**

ذكرى ، ورحم المساكين ، وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب » .

قام التصوف ليستهدف ما وراء الآية القرآنية من خلق وايمان هما الهدف الكبير من الفريضة والعبادة ..

فالزكاة يصفيها الله بقوله سبحانه : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » ، فالطهارة والتسامى ، هما الأصل والهدف لأنهما من عناوين الأخلاق .

والصيام يقول فيه الرسول عليه السلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس له حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

والحج : « الحج أشهر معلومات . فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .. « وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى » . وروى مسلم فى صحيحه : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر ، وقال اننى مسلم . اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان »

على هذا النهج الايمانى ، قام التصوف ، دعوة للأخلاق وللتسامى وللعناية بالجوهر المضمر وراء ظاهر اللفظ .

قام على هدى الرسول ، والتخلق بخلقه ، والتأدب بآدابه ..

ولقد سئل الامام الجنيد عن أخلاق المتصوفة فقال : « أخلاقهم من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وسئل سهل بن عبد الله التسترى . فقال : « ليس منا من أغمض عين قلبه عن صورة نبيه » ، يعنى خلقه وعمله .

ويقول الحارث المحاسبى : « الصوفى . من حاسب نفسه على دقائق السنة وهدى الرسول وعزماته ، قبل أن يحاسبها على فرائض الكتاب » .

ويقول أبو على الدقاق : « الصوفية قوم تخلقوا بأخلاق نبيهم . ثم عاشوا فى سبيل الوفاء بحقها » .

وسئل الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، عن السر ، فى هذا الفتا الكامل فى المجاهدة والعبادة والذكر ، ومراقبة النفس ، ومحاسبة الجوارح ، وتحرى الدقائق . فقال : « لقد ذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرف الصحبة ، وأريد أن ألحق بهم ، حتى لا يستأثروا به من دوننا ، والله اننى آمل أن أزاحمهم عليه على الحوض » .

ويقول أبو الحسن الشاذلى : « والله لو غاب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين . لما عددت نفسى من المسلمين » .

ويقصد أبو الحسن رضى الله عنه : لو غابت عنه الصورة الروحية بمعانيها

وصفاتها وجلالها ، وأخلاقها وأنوارها .. فالصحبة الروحية للصـــوفية موصولة برسولهم ، وكل من سلك منهج الرسول ، فهو مع الرسول ، مع « **الـــذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا** » ..

ورسول الله صلوات الله وســـلامه عليه ، باق بدعوته ، وبأخـــلاقه ، والصوفية بحكم حبهم وفنائهم فى صفات رسولهم ، يكادون أن يشاهدوه فى معاملاتهم ومجاهداتهم ، وذكرهم ونجواهم .

يقول المستشرق نيكولسون : « ومن هنا كانت الصلة التى تربط أهل التصوف بمحمد صلى الله عليه وسلم أقوى وأكبر من تلك التى تربط أهل السنة به مهما كانت درجتهم فى التقوى ، ومهما عظمت محبتهم له ، لأن هؤلاء الأخيرين لا ينظـــرون اليه الا نظـــرتهم الى المثل الأعلى فى الدين والأخلاق ، وهم من أجل هذا يعظمونه ويوقرونه ، ولكن التعظيم والتوقير شىء ، والمحبة شىء آخر ، والمحبة بالمعنى الصوفى ، معناها فنـــاء المحب فى المحبوب .

ومن هذه الناحية ، يعتبر الصـــوفية أنفسهم خلفـــاء النبى والممثلين الشخصيين له فى خلافته عن الله » .

أجل ان رجال التصوف هم خلفاء رسول الله ، لأنهم تخلقوا بأخلاقه ، وتأدبوا بآدابه ، وعاشوا فى اشراقات دعوته ، وجلال رسالته .

وفى الحديث الصحيح أن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال : « أنا حظكم بين الأنبيا ، وأنتم حظى بين الأمم » .

وأنه لنبأ عظيم للعالم الاسلامى . أن يكون رسول الله هو حظنا وشفيعنا وامامنا الآخذ بأيدينا الى سيادة الدنيا ورضوان الله .

وانا لنضرع لذى الجلال والاكرام ، أن يجعل الأمة الاسلامية فى ماضيها وحاضرها . اهلا لما أعدت له . أهلا لأن تكون حظ رســـول الله من بين سائر الأمم ..

« طه عبد الباقى سرور »

حول كلمة : تصوف

للدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

مارأى الباحثين الحديثين فى أصل كلمة : « تصوف » ؟

يقول الشيخ عبد الواحد يحيى :

أما أصل هذه الكلمة : « صوفى » : فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا ، ووضعت فروض متعددة ، وليس بعضها أولى من بعض،وكلها غير مقبولة .

انها فى الحقيقة تسمية رمزية ، واذا أردنا تفسيرها ينبغى لنا أن نرجع الى القيمة العددية لحروفها ، وانه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف : « صـــوفى » تماثل القيمة العددية لحروف : « الحكمة الالهية » فيكون الصوفى الحقيقى ، اذن ، هو الرجل الذى وصل الى الحكمة الالهية ، انه : « العارف بالله » ، اذ أن الله لايعرف الا به .

وتلك هى الدرجة العظمى « الكلية » فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة .

وقد انفرد الشيخ عبد الواحد يحيى ، فيما نعلم ، بهذا الرأى ، وهو رأى لايمكن أن ينقض بالادلة المنطقية ، ولكنه لايمكن أيضا أن يؤيد بالادلة المنطقية ، يستسيغه قوم دون برهان ، وينفر منه آخرون من غير ماحجة .

واذا تركنا الشيخ عبد الواحد لننظر الى الباحثين فى هذه اللفظة فاننا نجدهم ينقسمون الى فريقين لا ثالث لهما .

يجارى فريق منهم أبا الريحان البيرونى ، فى أنها مأخوذة عن أصـــل يونانى ، هو كلمة : « سوفيا » اليونانية .

وقد قال بهذا الرأى « فون هامر » من المستشرقين ، واعتنقه كثير من الأساتذة الباحثين : وأيده فى حرارة محمد لطفى جمعه .

أما السبب الذى جعلهم ينصرفون عن نسبة الكلمة الى الصوف ، فهو : انهم يعتقدون ان نسبتها الى الصـــوف يبعد الصوفية عن الحكمة الالهية ، وينسبها الى الظاهـــر والشكل وعلى حد تعبير محمد لطفى جمعه : « يجرد هذه الفرقة المنتمية الى الاسلام ، من صفة الحكمة والفضيلة » .

وقد بينا رأينا فى هذا الموضوع فى المقال الماضى ، ونقول الآن :

ان أصحاب هذا الرأى يعطون قوةوتأييدا لمن يزعم أن التصوفالاسلامى وليد الفلسفة الافلاطونية وهو رأى باطل ٠

ولقد هاجم الدكتور زكى مبارك هذا الرأى فى قوة وفى منطق سليم ٠

لقد كان العرب - حسبما يرى - مولعين بحفظ مايدخل لغتهم منالالفاظ الاجنبية ، ولو كان « التصوف » من « سوفيا » لنصوا عليه فى كثير من المؤلفات ٠

ثم ان كلمة « سوفيا » اليونانية ، معناها الحكمة ٠ وكانت « الفلسفة » عند اليونان القدماء تهتم بالعلوم الطبيعية ،وكان كثير منفلاسفتهم أطباء ، وقد ترجمها العرب : فسموا الطب : « الحكمة » وكلمة : « حكيم » لاتزال تؤدى معنى كلمة : « طبيب » ٠ والفلسفة نفسها سماها العرب : «الحكمة» وقالوا : تاريخ الحكماء ، فهم عرفوا من سوفيا « الفلسفة والطب » ٠ أما الحكمة الروحانية : فمن البعيد أن يكونوا لمحوها ، لانهـــم كانوا يرون اليونان من عبدة الاوثان ٠

ثم يقول الدكتور زكى مبارك ، فى ظرف ظريف ، وفى صورة من الجد ، هى تعبير ، أبلغ التعبير ، عن التهكم والسخرية : على أنه ، ما الذى يمنع أن تكون « سوفيا » بمعنى الحكمة الروحانية ، جاءت من كلمة : «صوف» ، وهى قديمة فى العربية ؟

ان التصوف قديم جدا عند العرب ، وهـو أســاس المسيحية ، ولبس الصوف كان علامة التقشف،فليس من المستبعد أن ترحل كلمة : «صوف» الى معابد اليونان »

ولم يبق بعد ذلك الا أن يكون هذا الرأى ، على حد تعبير الدكتور زكى مبارك : « ليس الا ضربا من الاغراب » ٠

أما الفريق الثانى من الباحثين الحديثين - وهم أكثرية - فانه يرى أن كلمة « تصوف » مأخوذة من « الصــوف » ولكن لهؤلاء مقــال خاص والله الموفق ٠٠

عبد الحليم محمود

العـلوم الظاهرية والباطنية

اجتمعت ندوة الاسلام والتصوف الشهرية فى مساء يوم الاربعاء الموافق غرة ذى الحجة عام ١٣٧٧ هـ ـ ١٨ يونيه عام ١٩٥٨ ، بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية ٠

وقد حضرها الاساتذة : محمد محمود علوان ، الدكتور محمد يوسف موسى ، الدكتور محمد مصطفى حلمى ، الدكتور محمد وصفى ، عبد الفتاح الصعيدى ، ابراهيم محمد البطاوى ، السيد ابراهيم سلامه الراضى ، السيد محمد عيد الشافعى ، محمد لبيب البوهى ، محمود شلبى ، عبد الله الصديق الغمارى ، السيد أبو الوفا التفتازانى ، السيد عفيفى الساكت ، السيد محمد عاشور ، السيد عبد العزيز الجمل ، محمد علوان المحامى ، السيد محمد تاج السر المرغنى ، حسين يوسف موسى ، السيد صديق محمد على ، يحيى الزينى ، ابراهيم محمد ، طه عبد الباقى سرور ٠

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية مرحبا بالسادة المجتمعين ، ثم عرض الاستاذ طه عبد الباقى سرور، موضوع الندوة ، وهو :

موقف التصوف ، من المعرفة الباطنية ، والعلوم اللدنية

سماحة السيد محمد محمود علوان

المعرفة الباطنية ، والعلوم اللدنية ، تعتبر فى طليعة العلوم التى اختص بها التصوف ، وانفرد بها المتصوفة ٠

والتصوف الاسلامى يؤمن بأن تطهير القلب ، وتزكية النفس ، ورياضة الروح ، وتقوى الله ، من أكبر الطرق المؤدية الى العلم والمعرفة ، أو بلغة التصوف ، من الطرق المؤدية الى الفيوضات الربانية ، والعلوم الباطنية ٠

والله سبحانه وتعالى يقول : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ويقول : « عبدا من عبادنا آتيناه من لدنا علما » وهذا العبد هو الخضر عليه السلام ٠

وقصة الخضر وموسى ،توضح لنا بأبلغ لسان ، العلمين ، الظاهروالباطن، فموسى الرسول ، يقوم على العلم الظاهرى ، والخضر يمثل العلم الباطنى ٠

وقد حدثنا القرآن عن السفينة التىخرقها الخضر ، وكانت لمساكين يعملون فى البحر ، وعن الغلام الذى قتله وكان من أبوة صالحة ، وعن الجدار المحطم الذى أقامه تطوعا دون أن يأخذ عليه أجراً ٠

والحوار الجميل الرائع الذى دار بينه وبين موسى عليه السلام ، ثم قول الخضر فى ختام الحديث الشريف الذى رواه الامام البخارى : « يا موسى

انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه » .

ثم قول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : « لوددنا لو صبر موسى حتى يعرض علينا من أمرهما » .

والامام الغزالى فى الرسالة اللدنية ، يتخذ من قصة آدم مع الملائكة مظهرا من مظاهر العلم الباطنى اللدنى ، بل يتخذها دليلا على شرف العلم اللدنى وسيادته .

يقول الامام الغزالى : « وبيان هذا يوجد فى قصة آدم عليه السلام والملائكة ، فانهم تعلموا طوال عمرهم وحصلوا بفنون الطرق كثيرا من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات ، وأعرف الموجودات ، وآدم عليه السلام ما كان عالما لأنه ما تعلم ، وما رأى معلما ، فتفاخرت الملائكة عليه ، فقالوا : « نحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، ونعلم حقائق الاشياء » فرجع آدم عليه السلام الى باب خالقه وأخرج قلبه من جملة المكونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى ، فعلمه جميع الاسماء ، ثم عرضهم جميعا على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، فصغر حالهم عند آدم ، وقل علمهم وانكسرت سفينة جبروتهم فغرقوا فى بحر العجز ؟ قالوا : لا علم لنا الا ما علمتنا . فقال تعالى : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » فأنبأهم آدم عليه السلام عدة مكنونات العلم ومستندات الامر ، فتقرر الامر عند العقلاء . ان العلم اللدنى أكمل من العلوم المكتسبة » .

فالعلم الحقيقى اذا لله سبحانه وتعالى يهب منه لمن يشاء ما شاء ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم » وفى الحديث الشريف الذى رواه السلمى : « أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل العلم بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله » .

● **الدكتور محمد يوسف موسى :**

هذا شىء واضح وان أنكره العلم الظاهرى ، ولدينا من واقع الحياة الادلة الحية على ذلك ، فالرؤيا الصادقة دليل على أن الانسان قد يصل اذا تخلص فى النوم من أعباء المادة وشئون الحياة ، الى الاتصال بالملأ الاعلى ، والغيب المستور ، وسورة يوسف فى القرآن تنبىء عن الرؤيا الصادقة للفتيين اللذين كانا مع سيدنا يوسف فى السجن ، وقد فسرها سيدنا يوسف عليه السلام بما علمه الله .

وقصة فرعون فى القرآن ، حينما رأى سبع بقرات عجاف يأكلن سبع بقرات سمان ، وقد فسرها سيدنا يوسف عليه السلام أيضا بسنين من الرخاء ، وسنين من القحط .

وقد علمنا مما قرأنا ، وعرفنا بالتجربة أن الذى يمنع الانسان من الاتصال بالغيب هى المادة وحجابها ، فاذا أمكن للانسان أن يطهر نفسه ، ويزكى قلبه ، بالاعمال الصالحة ، حل فيه العلم اللدنى ، سواء عن طريق الرؤيا الصادقة ، أو فى اليقظة ، ويصل كثير من الناس بالذكر والتقوى الى مثل هذا ، ولذلك يسمى الصوفية ، اليقظة الحقيقية بالمعرفة والكشف « الناس نيام فاذا ماتوا انتهوا ·

ولا يمارى فى ذلك انسان ، وكما أشار السيد سماحة شيخ المشايخ : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ، ويقول سبحانه وتعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ·

والاسلام قد أرشدنا الى الحواس والعقل والذكر كسبل الى المعرفة ، « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهـــار لآيات لأولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض · ربنا ما خلقت هذا باطلا » والطريق الباطنى تكفى فيه اشارة القرآن الكريم · وان الله لمع المحسنين ·

ورجال الفكر والفلسفة يؤمنون بهذا أيضا ، فأرسطو والفارابى وابن سينا وغيرهم ، قد أوضحوا · أن التصفية والمجاهدة من الطرق الموصلة الى المعرفة ، وان كانت هذه السبل ليست ميسرة للناس جميعا ·

وأذكر أننى قرأت لتلاميذى فى الجامعة كتاب « معارج القدس فى مدارج معرفة النفس » المنسوب للامام الغزالى، قرأت فقرات منه ، فقالوا هذا كلام « أفلوطين » وذلك للشبه الشديد بين رأى الفيلسوف اليونانى ، وحجـــة الاسلام الغزالى ، فى هذا اللون من المعرفة ·

اننا فى حاجة الى جهاز ارسال ، وجهاز استقبال ، فى حاجة الى الروح والقلب ، فاذا أعددنا هذه الاجهزة ، ارتسمت عليها ، حقائق المعرفة ،بدليل أننا اذا نمنا رأينا ، لأن جهاز الاستقبال ، وهو القلب ، يكون فى هذه الحالة مجردا من شواغل الحياة وماديا تها ·

● السيد محمد عيد الشافعى :

أضيف الى هذا أن الصوفية يزنون هذه المعارف الباطنية الهابطة اليهم ، أو المرتسمة على جهاز الاستقبال القلبى ، بميزان الكتاب والسنة ، فاذا تعارض الفتح مع العلم الشرعى ، أعرضوا عنه أو توقفوا فيه حتى يأتى الدليل ·

● سماحة السيد محمد محمود علوان :

شرط العلم الباطنى أنه لا يأتى بما يتعارض مع الكتاب والسنة فى التشريع والعقـــائد ، والامام أبو الحسن الشـــاذلى يقول : « اذا رأيت فى كشفك

ما يتعارض مع الكتاب والسنة ، فقل ان الله ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ، ولم يضمنها لى فى الكشف » .

ويقول الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى فى الفتوحات : « ان طريق الوصول الى علم القوم ، الايمان والتقوى ، : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب » والرزق نوعان ، روحانى وجسمانى » .

● **الأستاذ طه عبد الباقى سرور :**

أساس الكشف الباطنى ، والعلم اللدنى ، باتفاق المتصوفة جميعا ، هو تقوى الله على المنهج الصوفى بحساسيته الكبرى ، ومجاهدة النفس وتطهيرها من شهوات الحياة وأهوائها ، وتخلية القلب من الاغيار ، وتحليته بالذكر والنجوى ، ورياضة الروح ، فى مقامات السلوك حتى ترق وتشف ، وتشع بالنور ، ثم يأتى المعراج الاكبر وهو الفناء فى الله بالحب والشوق ، وهما الاجنحة التى تحلق بنا فى اشراقات الأنس والقرب .

وفى الحديث القدسى : « .. ما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به .. » ومن كان الله سمعه وبصره ، فكيف يكون علمه وكشفه ..؟

والصوفية رجال تطوعوا لله مقاما فوق هذا ، تطوعوا فوق الفرائض والنوافل ، وترقوا فى هذا التطوع حتى تكونت لديهم حساسية ايمانية ، أو طاقة تعبدية ، تكاد تدخل فى نطاق المعجزة ، حتى أنهم ليرون الاشياء جميعها مشاهدة على حقائقها .

وتلك العبادة الدائمة الخالصة ، أدنتهم من الله وقربتهم فأحبهم وأحبوه وأنس بهم وأنسوا به ، ورضى عنهم ورضوا عنه ، وفاضت حياتهم بالهدى والرضا ، والانس والقر بوالنجوى ، وتكونت لهم معارف فى المحبة ، وتفرعت من المحبة المقامات والاحوال وآداب السلوك ، وأخلاق المعارج .. ثم أفاض عليهم مولاهم من خزائن علمه معارف لدنية ، وفيوضات ربانية ومنحهم الكشف الباطنى على المشاهدة ، هبة وعطاء ورزقا ، يقول الله سبحانه وتعالى : «ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» ويقول جل شأنه : «ويجعل لكم نورا تمشون به » والنور هو العلم ، والفرقان أعلى فيوضات الالهام .

وفى قصة سيدنا سليمان عليه السلام « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » ويقول الله سبحانه وتعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

وأحب أن أضيف الى هذا حقيقة كبرى ، فليس هناك فهما باطنيا ، يزيد أو ينقص من الفرائض والسنن ، ولا فهما باطنيا يعطل شيئا من الشرائع والنظم ، وانما هو فهم فى المعنويات والتربية الصوفية ، والكمالات التعبدية ذكرا كانت أو وردا ، أو مراقبة ، ووثبات فى المثاليات الخلقية الجديرة

بانسانية صدرت عن الله وتولت خلافة الارض ٠

يقول العلامة الامام الشعرانى فى الطبقـــات : « ثم اعلم أخى أن علم التصوف ، عبارة عن علم انقدح فى قلوب الاولياء ، حين استنارت بالعمل بالكتا بوالسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الالسن عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الاحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها ٠

ثم يقول : « ثم ان العبد اذا دخل طريق القوم وتبحر فيها أعطاه الله قوة الاستنباط نظير الاحكام الظاهرة على حد سواء ، فيستنبط فى الطريق واجبات ومندوبات وآداب ومكروهات ٠٠»

- **الأستاذ لبيب البوهى :**

هل لهذا العلم قوانين يمكن تعلمها ٠٠؟

- **الأستاذ أبو الوفا التفتازانى :**

عقيدتى أن الشرط الاساسى لهذه المعرفة هو التقوى ٠

- **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

وهل علم الظاهر ٠ ليس فى حاجة الى التقوى ٠٠؟

- **الأستاذ أبو الوفا التفتازانى :**

فى حاجة أيضا ٠

- **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

اذا فالتقوى أساس لكل من العلمين ؟ ٠٠ واذا فأى خلاف بين الظاهر والباطن ؟

- **الدكتور محمد يوسف موسى :**

التقوى فى حاجة الى تحديد ، وهاهم علماء الغرب ، قد ملؤا الدنيا علما ومعرفة ، ولا نعرف أنهم تمسكوا بالتقوى ٠؟

- **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

التقوى مبدأ يجب أن نتمسك به فى العلمين

- **الدكتور محمد يوسف موسى :**

نفرق بين التقوى ، فتقوى الصوفية ، هى اتباع الشرع ، والبعد عن الدنيا ، وعلم الغرب لا يحتاج الى هذا، وعلم الذرة مثلا علم ضخم ، ولايحتاج الى تقوى ٠؟

- **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

التقوى مبدأ يجب أن نتمسك به فى العلمين ، أليس الفقيه مثلا ٠

أو القاضى الشرعى ، فى حاجة الى التقوى ، ليتسنى لهما أن يحكما حكما صالحا ..

● **الدكتور محمد يوسف موسى :**

وما حاجة عالم الطبيعة الى ذلك ؟

● **الأستاذ أبو الوفا التفتازانى :**

العلوم النظرية ، لو دخلت فيها التقوى ، لأصبحت أقرب الى الكمال ، والى خير الانسانية .

● **الأستاذ ابراهيم محمد البطاوى :**

ميزان التقوى ، أو كلمة التقوى ، اذا حللت نجد ان التقوى هى وقاية وحماية ، فمجموعة القوانين التى انفذها انما هى لاقى نفسى من غضب الله فى الدنيا والآخرة ، واقى نفسى أيضا من الحرمان ، فلو فهمت كلمة التقوى فهما حقيقيا ، نجد أنه يندرج فيها الشريعة والحقيقة ، ولا يمكن الفصل بينهما ، وكما يقول الامام مالك : « من تصوف ولم يتفقه فقدتزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق » .

والله سبحانه وتعالى يقول : «انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها» القناة بقدرها ، والنهر بقدره ، والمحيط على قدره ، ولا يشترط أن يكون الماء هو الماء المادى وحده .

فالحقيقة هى المكافأة التى تعطى لمن يعمل بالشريعة ، ويمارس التقوى، وعلى قدر الاجادة يكون المدد .

واذن فأحكام الشريعة شرط فى أحكام الحقيقة ، واذا وصلنا الى مستوى أعلى ، لايكون ابدا ثمة لبس بين الحقيقة والشريعة ، والامام الغزالى يقول : « لايخلو ايهاب من اكتساب ، ولا اكتساب من ايهاب » .

انها ليست بمشكلة ، فالحقيقة هى مستوى فى فهم الشريعة ، تلقيناه من كلمات الله وكلمات الله لا تنفد ولا تنتهى ، « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

وكلمات الشريعة انتهت بنزول القرآن ، ولمن يعمل بهذه الشريعة كلمات والهامات أخرى .

● **الدكتور محمد يوسف موسى :**

انها أسطورة من الأساطير ان يقال شريعة وحقيقة ، مع انه لاتضاد ، فالشريعة حق بيقين ، والعلوم الباطنية يكون منها الحق ، ويكون منها الوسوسة ، والقياس هى الشريعة .

• **الدكتور محمد وصفى :**

اذا فما هو السر فى تلك الحملات التى شنها رجال المعتزلة وبعض رجال الفقه والحديث ضد العلوم اللدنية ؟

• **الدكتور محمد يوسف موسى :**

نحن فى حاجة الى كتابة تاريخنا العلمى من جديد حتى نطهره من تلك الخصومات الرعناء التى اندلع لهيبها بين الحنابلة والمعتزلة والفقهاء ورجال الحديث والصوفية ، ولم يفد منها سوى خصوم الاسلام .

• **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

أريد أن أسأل الاستاذ البطاوى كيف يمكن ان تجمع علوم الباطن بين الوهب والكسب .

• **الأستاذ البطاوى :**

الغزالى قالها ..

• **السيد محمد عيد الشافعى :**

أنا لاأتصور أبدا أن الوهب يداخله كسب .

• **الدكتور محمد يوسف موسى :**

ربنا جل جلاله لا يهب لانسان شيئا الا اذا كان يستحقه « فمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى » يسر الله له سبل الهدى ، فلا تخلو هبة من الله من عمل طيب سابق له ، وهو رأى للمعتزلة .

• **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

هل هذا فيما يتعلق بالسلوك أم بالعلم ؟

• **الأستاذ أبو الوفا التفتازانى :**

الواقع ان العلوم الصوفية وهبية وكسبية فى وقت واحد ، ولكن بعض الصوفية يرى أن كل شىء فى النهاية رهن بارادة الله ولايمكن أن تكون معللة ومرتبطة بأعمال الانسان ، وابن عطاء الله السكندرى يقول : « علم أن العباد يتشوقون الى ظهور سر العناية فقال : يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل ، فقال : ان رحمة الله قريب من المحسنين ، فأدب الصوفى أن يعمل دون أن يرجو عوضا ، ويترك الامر فى القبول لمشيئة الله وفى هذا يكون جامعا بين الحقيقة والشريعة .

مثال هذا ، اذا أديت الصلاة أو الصوم لا يصح أن أطلب عليها أجرا بل أترك الامر لله

• **الأستاذ طه عبد الباقى سرور :**

يقول المتصوفة ، انهم يعبدون الله على المشاهدة ، لانهم فى الناحية

الاعلى من مقام الاحسان - أعبد الله كأنك تراه - وبأنهم يعلمون الحقائق عن مشاهدة ، لانهم فى مقام اليقين- المقام الخضرى - وهى مرتبة لا يصل اليها العلم الظاهرى أبدا ، بل اختص بها من تلقى العلم من الله - واتقوا الله ويعلمكم الله .

● **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

الواقع أن التصوف الاسلامى من أوله الى آخره انما يقوم على أساسين رياضة ومجاهدة من ناحية ، ثم كشف ومشاهدة من ناحية أخرى .

فاما أنه رياضة ومجاهدة ، فذلك يتضح من أن الصوفى وقد سلك سبيل الله ينبغى أن يخضع نفسه لالوان من الرياضة ، وضروب من المجاهدة يصل فيها بنفسه الى حظ من الصفاء والنقاء ، فاذا وصل الى هذا الصفاء ، وهذا النقاء ، فقد أصبح أهلا لأن يكشف عنه النقاب وينفتح عنه كل باب، فاذا هو يشاهد الحقائق مشاهدة عينية هذا بالاجمال . أما التفصيل فقد ألفينا للصوفية كلاما كثيرا ، ولعلماء الظاهر ردودا كثيرة أيضا على هذا الكلام ، وانتهينا مع هؤلاء وهؤلاء ، الى موقف ان لم يكن موقف الخلاف العنيف بين الفريقين ، فهو موقف يحتاج الى التوفيق .

وعندى أن المشاهدة ، انما هى نوع من الاحساس الذاتى الذى يستشعر ثفيد العبد ، وقد وصفت منه النفس ، ورق منه الحس فاذا هو يصبح أهلا لان يرى ما لاعين رأت ولا أذن سمعت وما لا يخطر على قلب بشر ، بشر من الذين لم يتهيأ لما تهيأ له الصوفى .

وهذا اذا نظرنا اليه من الناحية النفسية، يقوم على أساس له قيمته وخطره ، نحن كأفراد لا كصوفيين ، قد يعرض للواحد منا فى بعض لحظاته أن يكون أدنى الى الصفاء وأقرب الى النقاء فاذا هو يحس شيئا لم يكن يحسه من قبل ، ويعرف أشياء لم يكن له سابق عهد بها ، اذا لم يتهيأ له هذا الحظ من الشعور

وعندى أن المسائل والامور التى يتناولها الصوفية سواء أكانت تتصل بالذات العلية ، أو الحقائق العليا ، العلم ، المعرفة ، الوجود .

هذه المسائل مسائل غيبية لا سبيل الى اخضاعها للمشاهدة الحسية عن طريق الحواس ، وانما هى من حيث هى غيبية ، فالسبيل الى ادراكها انما هو اداة أو ملكة باطنية،هى أقرب ماتكون الى ادراك هذه الحقائق الغيبية وأقدر على تذوقها وأغنى بها القلب .

فالمشاهدة عند الصوفية هى التى تقوم على القلب وتقوم أولا على تصفية النفس ، وتنقية الحس ، حتى ينجاب الحجاب عن عين القلب ، هذا هو الاساس الذى ينبغى أن تقوم عليه المشاهدة .

ولعل هذه المشاهدة التى تقوم على هذا القلب ، كانت موضعا للاخذ والرد من جانب أهل الظاهر والفلاسفة

أهل الظاهر يفهمون العقل والنقل أساسا لكل علم ، والفلاسفة يتخذون العقل وحده أساسا لكل علم ، والعقل يصطنع البرهان والدليل والنقل يقوم على النصوص المقدسة الى جانب العقل الذى يقوم على اصطناع الدليل ومن هنا كان العلم الذى يصل اليه الصوفى موضعا للنقد والتجريح من جانب العقل والفلسفة ، والفلاسفة بصفة خاصة يزعمون أن كل علم لا يقوم على العقل فهو علم ظنى ، والعلم اليقينى عندهم ، العلم الذى يقوم على العقل ٠

ولكن هذا العقل الذى يعرض للذات الالهية ماذا وصل فى شأنها حتى الآن ٠

لو كان العقل قادرا على معرفة الذات الالهية معرفة يقينية لا شبهة فيها لقطع فى أمرها برأى ، لكننا مازلنا حتى الآن منذ بدأ تفلسف الفلاسفة ، نستمع الى آراء متضاربة يكاد أن يمحو بعضها بعضا أو ينعى بعضها على بعض ، دون أن ننتهى الى رأى حاسم فى حقيقة الذات الالهية ، وكذلك حقيقة الاشياء الاخرى ، ومن هنا كان لابد من أن نلتمس سبيلا آخر الى معرفة الذات العلية ، وهذا السبيل هو القلب ٠

فالقلب باعتباره أداة باطنية عنصر روحى فى الانسان الذى وصل الى حيث ينبغى أن يصل من صفاء ونقاء ، يكون أقدر على تذوق حقيقة الذات الالهية ٠٠

فالمشاهدة الصوفية التى تقوم على القلب ، وقد استنار ورق وانجابت عنه الحجب ، هذه المشاهدة ان لم تكن سبيلا الى المعرفة اليقينية فهى على الأقل سبيل الى تذوق هذه الحقيقة ، والاطمئنان الى هذه الحقيقة ، اطمئنانا لعله أرسخ من الاطمئنان الذى يزعمه الفلاسفة ، ولا يصلون اليه فى كثير من الأحيان ٠٠

الخلاصة

ان المعارف اللدنية والكشوف القلبية ، التى تقوم على تزكية القلب ، ومجاهدة النفس ورياضة الروح وتقوى الله من الحقائق التى يعترف بها الدين والعقل السليم ، وانها ثروة ضخمة مضيئة فى أفق الثقافة الاسلامية ومنهل عذب لرواد الاخلاق العالية ، والآداب المثالية ، والتربية الصوفية

وان عماد العلم اللدنى وضابطه وحاكمه لدى المتصوف هو كتاب الله وسنة نبيه ٠

انه علم انقدح فى قلوب أوليـاء الله عندما استنار قلوبهم بتقوى الله « واتقوا الله ويعلمكم الله » ٠

وانتهى اجتماع الندوة على أن تعقد باذن الله فى الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٤ من ذى الحجة ١٣٧٧ ٠ ١١ يولية ١٩٥٨ ٠

الطريق الى الحقيقة

للدكتور محمد يوسف موسى

استاذ الشريعة بجامعة عين شمس

الانسان طلعة بطبعه ، فهو فى تشوق دائم الى معرفة مايجهل ، وهو فى سعى دائب للتوصل الى مالا يعرف ، وكلما وصل الى شىء أو درجة من المعرفة تطلع الى ماوراءها ، حتى انه ليتشوق الى معرفة عالم الغيب وعالم الحس والشهادة معا ، ولكن هيهات أن يصل الى معرفة مايتطلع اليه !

وذلك لأن الانسان ، اذا ترك لنفسه ، لا وسيلة لديه للمعرفة الا الحواس والعقل ، فبالاولى يعرف مايبصره ، وما يسمعه ، وما يلمسه ، وما يذوقه ، وما يشمه ، وبعبارة جامعة يعرف مايقع تحت حسه وتجربته ، وبالعقل قد يستطيع ادراك مايفكر فيه وما يتدبره ، على أن يكون تفكيره سليما وقائما على منهج علمى ، من مقدمات لاريب فيها ، وأدلة صحيحة .

ولكن كيف لنا أن نثق بالحواس ومدركاتها ، وكثيرا ما يخدع الحس فيرينا حقا ما ليس بحق ! ان هذا مايلاحظه بنفسه كل منا ، هاهى ذى الشمس نراها تتحرك وتدور حول الارض ، ونراها فى حجمها شيئا ضئيلا جدا بالنسبة الى الرقعة الصغيرة التى نضطرب فيها من الارض . والواقع الذى أثبته العلم بالادلة التى لاتقبل الشك غير ذلك كله ، ثم هذه الارض نراها مبسوطة لاكروية ، على حين أن العلم أثبت أنها جسم كروى . وكذلك ينظر المرء الى الظل فيراه ساكنا لايتحرك ولا ينتقل ولا يزول ، وبعد حين يراه قد انتقل وزال تماما . فهكذا تخدعنا حاسة البصر ، وليست الحواس الاخرى بأحسن حالا ولا أوثق منها فيما تدركه .

وهذا العقل الانسانى ليس لنا كذلك أن نثق بكل مايؤدى اليه بواسطة تفكيره وأدلته ، مهما زعم الزاعمون الذين يثقون به ثقة مطلقة . ولعلنا لسنا فى حاجة لبيان هذا بايضاح ، فانه يكفينا أن نشير الى اختلاف الفلاسفة والمفكرين فى مختلف الازمنة والامكنة ، ومنذ وجد عقل وتفكير ، فيما وصلوا اليه وظنوا أنه الحقائق التى لا ريب فيها ، بل ان الفيلسوف أو المفكر الواحد يتغير من آرائه من حين الى حين ، ويعدل عما رآه حقا بالامس الى مايظنه هو الحق اليوم .

حتى القيم والحقائق الاخلاقية ، نرى الكثير منها يختلف باختلاف الشعوب والعصور والبيئات ، فكم من فضيلة هنا تعتبر رذيلة هناك ! وفى هذا يقول « باسكال — Pascal » المفكر الفرنسى المعروف : « لايوجد تقريبا شىء عادل أو غير عادل الا ويغير من صفته تغير اقليمه ، ثلاث درجات

فى الارتفاع الى القطب تقلب رأسا على عقب كل ما عرف من عدالة ، خط واحد من خطوط الزوال يتحكم فى الحقيقة والحكم الخلقى ، الحق له بيئاته وأعصره ، عدالة مضحكة هذه التى يحدها نهر ، حقيقة أمام جبال البرانس خطأ وضلال وراءها » !

ومن أجل هذا وذاك ، أى من أجل خداع الحواس وضلال العقل والفكر أحيانا ، وجد الشك القوى سبيله الى عقول كثير من الفلاسفة والمفكرين ، فمنهم من يئس من الوصول الى شىء من الحقيقة ، وصار شعاره فى الحياة: أنا شاك ، أنا لا أدرى ، وبهذا اتخذ « الشك » مذهبا له ، ومنهم من بحث عن مخرج من هذا الشك الذى كاد يستولى عليه ، وكان أن قيد ، الى طريق آمن سليم لاينال الشك ولا الريب منه ، وهؤلاء هم علماء الصوفية، وأوضح مثال لهؤلاء المفكرين الاعلام المتصوفة الامام أبو حامد الغزالى رضوان الله عليه .

انه وقد صار حجة الاسلام فى كثير من علومه ، وقد آمن بالقرآن - الذى يحض على طلب العلم والوصول الى المعرفة - حق الايمان وتعمقه كل التعمق ، هداه الله الى العلم الذى لا ريب فيه ، وسلك اليه الطريق الأمين الموصل الى المطلوب . أليس الله يقول فى كتابه العظيم : « اتقوا الله ويعلمكم الله » ، ويقول : « وعلمناه من لدنا علما » ، ويقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » !

وقد جاهد الامام الغزالى جهادا عظيما عنيفا صادقا حتى وصل الىماوصل اليه ، وحتى انفتح له طريق الحق الذى لامرية فيه على مصراعيه ، وبذلك نال الخير الاعلى أو السعادة الحقة . ولم يكن ذلك - كما يقول فى كتابه المنقذ من الضلال - بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الادلة فقد ضيق رحمة الله الواسعة .

ولما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن « الشرح » ومعناه فى قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » ، وقال : « هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب » ، فقيل : وما علامته ؟ فقال : « التجافى عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود » .. وهو النور الذى قال أيضا صلى الله عليه وسلم فيه : « ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره » . فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف ، وهو ينبجس فى القلب من الله فى بعض الأحايين ، ويجب انتظاره والترصد له أحيانا ، ولهذا يقول خاتم الانبياء والمرسلين : « ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها » .

قلنا ان الغزالى ، ومثله كثير من المتصوفين الحقيقيين بهذا الوصف العظيم

وصل الى ما نسميه السعادة أو الخير الأعلى ، وهذا الخير لا ينال الا بضروب أخرى من الخير دونه ، ومن هذه الضروب مايسميه فى كتابه ميزان العمل الخيرات أو الفضائل التوفيقية ، وهى أربعة : هداية الله ، ورشـــده ، وتسديده ، وتأييده .

والهداية مبدأ الخيرات الاخرى التى ذكرها الغزالى بعـــدها ، على ثلاث مراتب : الاولى ، تعريف طريق الخير وطريق الشر ويتم بالعقل والوحى ، ولله علينا الحجة البالغة اذ يقول : « وهديناه النجدين » ، أى طريق الخير وطريق الشر . والثانية ، امداده للسالك طريق الخير بما يعينه على ماهـــو بسبيله ، وفى هذا يقول جل ذكره : « والذين اهتدوا زادهم هـــدى » ، والثالثة ، وهى المرتبة العليا ، النور الذى يشرق على بصيرة المرء متى صلح لذلك بمجاهدة نفسه ، فيهتدى به الى ماعز عليه معرفتـــه بالعقـــل النظرى وحده ، ولعل هذا ماعناه الله بقوله : « ان هدى الله هو الهـــدى » ، اذ أضاف هذا النوع من الهدى لنفسه ـ كما يقول الغزالى ـ ابانة لفضـــله ، دون الهدى الذى يكون بنظر العقل وحده .

والرشد والتسديد لابد منهما للوصول الى هذا الخير الاعلى أو السعادة الحقـــة ، لان الاول ضرب من عناية الله يوجـــه به العبد الســـالك للطـــريق الصحيح الى مافيه صلاحه وخيره ، وبالثانى تتوجه الارادة والحركات فعلا الى الغرض المطلوب . وكذلك التأييد لابد منه أيضا ، لانه تقوية للمرء على مايريد بلوغه من غاية تتعذر عليه ان لم يظفر من الله بهذا التأييد .

وهذه السعادة الحقيقية التى هى هدف المتصوف الحق ، والتى يصل اليها متى سلك الطريق الصحيح ، ليست فى اللذة أو اللذات التى يتطلع اليهـــا الجهال والقصيرو النظر ، بل هى وصـــول الانسان الى كماله الخـــاص به ، وهذا الكمال يكون بادراكه الحقائق الغيبية والامور الالهية على ماهى عليه ، هـــذه الحقائق التى يقف العقل حسيرا أمامها ، لا يملك الا أن يتخيلها أو يتصورها نوع تصور قد لا يكون من الحقيقة فى شىء .

وهذه السعادة أو الخير الاعلى قد تكون فى هذه الدنيا على سبيل الندور لمن سلك اليها طريقها ، وجعل نفسه أهـــلا لادراك هذه الحقائق العالية ، فتفيض عليه من الله كمـــا فاضت على الانبيـــاء والاوليـــاء والصـــديقين . وتفيضان هذه الرحمة من الله عز وجل على النفس غاية المطلوب ، وهو عين السعادة التى للنفس بعد الموت » ، كما يقول الامام الغزالى فى كتابه ميزان العمل .

« بعد ! ما الطريق الحق لبلوغ هذا الخير الاعلى الذى هو الغرض الاسمى من التصوف ؟ ان هذا الطريق أمران لاثالث لهما : عمـــل وعلم . العمـــل لتطهير النفس وتزكية الروح ، وذلك بترك مالا ينبغى أن يســـودها من

الشهوات التى تزين حب الدنيا ومفاتنها فتلفتها عن غايتها وكمالها ،والعلم لتحصيل مالا بد منه لهذا الكمال . وبعد هذا وذاك ، ليس على المريد الا الاستعداد والترصد والانتظار لفيض الله ، وبذلك انكشفت الامور للاولياء، وسعدت نفوسهم بنيل كمالها الممكن لها ، واتصلوا بالله عز وجل وبالملأ الاعلى ، وعرفوا الامور على حقائقها الخالصة .

على أنه ينبغى ، ونحن نتكلم عن منهاج الصوفية لبلوغ الانسان سعادته الحرى بها أو كماله الخاص به ، أن نلاحظ أن العلم الذى لابد منه للوصول الى هذا الخير الاعلى ليس هو العلم الذى أتعب فيه الفلاسفة أنفسهم وعقولهم ، بل هو العلم بشريعة الله ورسوله وما يتصل بها ، ومن هذا الضرب من العلم العلوم التى لابد منها لفهم الكون وعجائب خلق الله ومظاهر ومجالى حكمته وابداعه . فان من يجهل هذه العلوم ، ويزعم مع هذا انه متصوف ومن أرباب الحقيقة ، يكون واهما وخادعا لنفسه ، ومثل هؤلاء لاشأن لنا معهم ولا يدخلون فى حسابنا .

ومن أجل ذلك نرى القشيرى ، وهو من أئمة التصوف المعدودين ، يقول: « من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لايقتدى به فى هذا الامر ، لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » .

والامام حجة الاسلام الغزالى حين ارتضى لنفسه طريق التصوف ، ورآه الطريق الوحيد للوصول الى الحق والى الخير الاعلى ، ورأى أن المتصوفة هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير – نقول ان الغزالى حين وصل الى هذا الرأى وارتضاه لنفسه وعمل به ، كان يعنى المتصوفة الحقيقيين الذين سلكوا طريق العمل والعلم معا ففازوا بما لم يفز به سواهم.

وما أحوج الامة الاسلامية فى مختلف أقطارها الى الكثير من هؤلاء ! انهم يكونون حقا الهداة الى الخير بعد أن صاروا مهديين ، والمرشدين لطريق الله بعد أن صاروا راشدين ، والاطباء للنفوس بعد أن صحت نفوسهم وطهرت قلوبهم ، وورثة الانبياء بعد أن آتاهم الله من لدنه علما لايفيض معينه . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » .

وفقنا الله للخير ، وهدانا الى الطريق المستقيم .

الدكتور محمد يوسف موسى

تعريفات صوفية

« ان أعلم الناس بالتصوف أئمته وعلماؤه ، الذين أرسوا قواعده ، ورفعوا بنيانه ، ونحن نقدم هنا صفوة منتقاة من التعريفات الصوفية التى وردت على ألسنة هؤلاء القادة الأئمة على اختلاف المناهج والأذواق مرتبة ترتيبا تاريخيا يرشدنا الى تطور المعارف الصوفية » .

أبو محمد رويم ـ المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ـ

سئل عن التصوف فقال : « استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد »

أبو محمد الحريرى ـ المتوفى سنة ٣١١ هـ ـ

سئل عن التصوف فقال : « الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى » .

أبو بكر الكتانى ـ المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ـ

« التصوف خلق : فمن زاد عليك فى الخلق ، فقد زاد عليك فى الصفاء »

وله أيضا : « التصوف ، صفاء ومشاهدة وطهارة »

أبو على الروزبارى ـ المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ـ

« الصوفى من لبس الصوف على الصفا ، وأطعم نفسه طعام الجفا ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وسلك سبيل المصطفى »

أبو الحسين المزين ـ المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ـ

« التصوف الانقياد للحق »

أبو بكر الشبلى ـ المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ـ

« التصوف . الجلوس مع الله بلا هم » وله أيضا : « التصوف ضبط القوى، ومراعاة الأنفاس » .

أبو سعيد بن العربى - المتوفى سنة ٣٤٠ هـ -

« التصوف كله ، ترك الفضول » ، وسئل عن التصوف فقال : « ضعف الأمل ، ومداومة العمل »

أبو عمر بن النجيد - المتوفى سنة ٣٦٦ هـ -

« التصوف ، الصبر تحت الأمر والنهى »

أبو محمد الراسبى - المتوفى سنة ٣٦٧ هـ -

« لا يكون الصوفى صوفيا . حتى يكون مرجعه فى كل الأحوال الى الحق تعالى » .

أبو الحسن الحصرى - المتوفى سنة ٣٧١ هـ -

سأله الخليفة عن التصوف ، فقال : « الصوفى من لا راحة ولا سلوى له فى الدنيا الا بالله ، ومن سلم جميع أمره الى ربه الذى يعلم ما قدر له ، فماذا بعد الحق الا الضلال ، اذا وجد الصـــوفى ربه لم ينظر بعد ذلك الى شىء سواه » .

أبو الحسن الخرقانى - المتوفى سنة ٤٢٥ هـ -

« ليس الصوفى بمرقعته وسجاداته ، ولا برسومه وعاداته ، بل الصوفى بأخلاقه وآدابه وعباداته ومجاهداته .

أبو سعيد بن أبى الخير - المتوفى سنة ٤٤٠ هـ -

« سئل عن التصوف ، فقال : « أن تتخلى عن كل ما فى دماغك ، وتجود بكل ما فى يدك ، وألا تجزع من شىء أصابك » .

وسئل محمد بن على القصاب ، وهو أستاذ الجنيد ، عن التصوف ، ما هو قال :

« أخلاق كريمة ، ظهرت فى زمان كريم ، من رجـــل كريم ، من قوم كرام » .

وسئل سمنون عن التصوف ، فقال : « أن لا يملك شيء من شـــهوات الدنيا »

وسئل عبد الرحيم القناء عن التصوف فقال : « اتصـــال بالله ، واقتداء بالرسول ، ورحمة بالخلق » .

وسئل عبد الواحد بن زيد ، عن الصوفية ، فقال : « القائمون بعقولهم على همومهم ، والعاكفون عليها بقلوبهم ، والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم »

وسئل أحمد بن محمد الجلاء عن الصوفى فقال : « اذا استقبله حالان ، أو خلقان ، حسنان ، فيكون مع الأحسن والأعلى » .

ويقول أبو نصر السراج فى اللمع ، فاذا قيل لك الصوفيـة من هم فى الحقيقة ، صفهم لنا ، فقال :

« هم العلماء بالله ، وبأحكام الله ، العاملون بما علمهم الله تعالى ، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل ، الواجدون بما تحققوا ، الفانون بما وجدوا » .

(للحديث بقية)

التصوف وعلم النفس

للدكتور محمد مظهر سعيد

عميد الفلسفة وعلم النفس والاجتماع سابقاً

صدق فيلسوف الاسلام الرئيس على بن سينا فى قوله عن الانسان :

دواؤك فيك وما تبصر ... ودأؤك منك وما تشعر

وتزعم انك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأبدع القدماء حين رمزوا له بأبى الهول ، جسم أسد مقاتل مفترس ، ورأس انسان عاقل مفكر .

واذا كان العالم الأكبر الذى يحيط بالانسان معجز فى خلقه وتكوينه ونظامه ، فان الانسان ذاته هو معجزة هذا العالم الأكبر .

بلى ! فهو مخلوق عجيب من بدن وعقل وروح ـ بدن يطلب الغذاء والكساء والمأوى والنسل ، وغير ذلك من الحاجات الطبيعية ، التى يشارك فيها الحيوان الأعجم ، ولا غنى لحياته المادية عنها ـ وعقل يطلب العلم والمال والحياة ، وغير ذلك من الحاجات المكتسبة التى لا غنى لحياته الاجتماعية عنها ـ وروح تسمو به فى مدارج الانسانية وتجعله أهلا لتقبل كلمة الله ورسالة رسله وكتبه المقدسة ، حتى يصبح بحق خليفة الله فى الأرض ، ويحقق سنته التى استنها لعباده فى هذه الحياة الدنيا .

ومن ثم كانت له نفوس ثلاث ـ نفس بدائية حيوانية ، أمارة بالسوء ، تدفعه لاشباع شهواته فى أى طريق ، وتجعله أسير بدنه وعبد نزواته . ولو ظل فى هذا المستوى ، يعيش لبدنه ونفسه فقط ، لكان مخلوقا منحطا لا يفترق عن الحيوان الأعجم فى شىء ـ ونفس عاقلة مدركة ، تهديه النجدين ، وترشده سواء السبيل ، وتنصب نفسها رقيبا عتيدا ، يحد من شهواته ، ويصلح من نزواته ، بما أوتى من فطنة وعلم ، وما كسب من خبرة وتجربة ، فيصبح مواطنا صالحا وعضوا عاملا فى الجماعة ، يتعاون على البر والتقوى ، وليس على الاثم والعدوان ـ ونفس روحية سامية ، راضية

مرضية ، تدخل فى عباد الله ، وتدخل فى جنتـــه ، وتتأدب بأدب الدين ، وتتخلق بالخلق الكريم ، وتنشد المثل العالية والأهداف السامية ، وتصل الى مكارم الأخلاق ، وتجعله أقرب الى الملائكة منه الى الحيوان .

وتدرج الانسان فى مرتبة نفسية أدنى الى المرتبـة الأعلى ، ليس بالأمر الهين اليسير ، الذى يأتى عفوا ودون جهد أو مشقة ، وانما هو الجهـاد الأكبر ، الذى ينتصر فيه الانسان ، بعقله وتأمله ، وجهده ورياضته ، وصبره وتعبده ، على حيوان البدن النهم الذى لا يشبع ، وشيطان الفكر الذى يزين له طريق الشهوات .

ولا بد للانسان فى هذا الجهاد الأكبر ـ جهاد النفس ـ من سند وعدة ، ولا سند يرفعه من أدران المادة الى صفاء الروح ، غير الدين والايمان ، ولا عدة فى كفاحه ضد الشيطان غير التعلق بأهداب الرحمن .

وليست حقيقة الوجود فى طعام أو مال أو جاه ، فذلك مظهره الأدنى الذى يبدو للجاهل العجول ، وليست لذة النفس فى شهوة بطن أو فرج ، فتلك لذة الحيوان . وانما حقيقة الوجود يبدو جوهرها لمن يتأمل مصدر هذا الوجود ، ولذة الروح يشعر بها من يصل الى معرفة الحق .

وقد عرف الحكماء هذه الحقيقة منذ أن بدأ عقل الانسان يفكر ويتـأمل ، ونفسه تتطلع الى ما هو أسمى ، فأخذوا أنفسهم بالصبر والرياضة ، وكبحوا جماح شهواتهم ، واعتزلوا دنيا الناس ، بما فيها من شرور وآثام ، الى دنيا روحية ، كلها صفاء وسلام .

وقد فتح لنا الرسول عليه الصلاة والسلام باب الخلاص ، ودلنا على طريق المعرفة ، اذ أخذ نفسه بالصلاة والصيام ، ليكبح جماح النفس الامارة بالسوء ، ثم بالمعرفة والتأمل ، ليصل بالروح الى الملأ الأعلى ، وقد وصل .

وترسم الصالحون المؤمنون خطاه ، وساروا على نهجه فتصوفوا ، وصار لهم مريدون وأتباع ، نشروا نور الدين ، ودعوا لمكارم الأخلاق ، فى سائر بقاع الأرض ، فكانوا بحق الرواد الفاتحين ، والمعلمين المربين .

وللمعرفة مصادر مختلفة وطرق متباينة ، ولكنها كلها ، تصل بمن يجد

فيها ويخلص لها الى الحق . فأهل السنة فى السلف الصالح ، الذين صاحبوا الرسول عليه الصلاة والسلام ولازموه ، واقتبسوا من علمه ، وتأدبوا بأدبه ، واهتدوا بهديه ، وجدوا فى القرآن الكريم والحديث الشريف كنوزا غنية من التفكير والاجتهاد ، فوصلوا الى معرفة الحق ، بقدر ما دعت أفهامهم ووسعت صدورهم ، ولذلك سموا أهل « النقل » والفلاسفة والاشاعرة والمعتزلة ، الذين درسوا فلسفة اليونان وأدب الفرس وحكمة الهند ، أخذوا أنفسهم بالمنطق ، فاستفسروا وجادلوا ، وناقشوا ووضحوا ، فوصلوا الى معرفة الحق ، بالمنطق والفكر ، ولذلك سموا أهل « العقل » .

والمتصوفون الذين انقطعوا للزهد والتقشف ، وانصرفوا للرياضة والتأمل ، كشفت حجب أبصارهم ، وتجلى الحق لبصائرهم ، فسموا أهل « الذوق » .

ولكن طريق التقشف وحده وكبح جماح النفس الامارة بالسوء ، لا يصل بالمتصوف الى معرفة الحق ، وانما هناك أمور سبعة يأخذ بها المتصوف نفسه ، فى جد وحزم ، ومشقة وجهاد . فلا بد أولا من التوبة النصوح والندم على ما فات ، والعهد بالامتناع ، فلا يعود ولو مرة واحدة ، بالفعل أو حتى التذكر ، لما كان يفعل أو يشتهى - والنبذ لكل رغبة تربطه بالمادة والجسد - والفقر اختيارا لا اضطرارا ، ليخلص من سلطان الثروة واغراء المال - والصبر على مشقة الرياضة والجهاد - والثقة بالله ، مصدر القوة والعون - والتسليم لارادته والخضوع لمشيئته .

وفى هذا الطريق الشاق الوعر ، المحفوف بالاغراء والرغبة فى النكوص ، أحوال تعترى المتصوف - من خوف الفشل ، والرجاء فى النجاح ، حتى اذا ما اجتاز هذه المرحلة الوعرة ، وانصرف بشغاف قلبه وجوارحه وفكره الى الله ، وتعلق به ، وأحبه كل الحب ، ظفر بسعادة المشاهدة ونعمة اليقين - ووصل ففنى فى الله جل جلاله - وعرف أنه وحده ، ولا كائن سواه - الكائن المطلق والخير المطلق والحب المطلق وأنه هو وحده الحق .

وآية وصوله الى الحق ، غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق ، اشتغالا بالحق - ولا شىء غير الحق .

واذا قتل نفسه بالقمع والمنع ، وماتت فيه الشهوات البدنيـــة ، والمغريات المادية ، فنى فى ذات الله ، وبعث من جديد ، ليحيا حياة أسمى – أين منها حياة الدنيا الفانية وعرضها الزائل .

هكذا يصل الانســـان ، الذى خلق من حمأ مسنون ، وتفتحت روحه العلوية المتطلعة للحق والخير والجمال ، فى بدن تأسره النزوات والشهوات ، الى المعرفة الحقة والعلم اللدنى – عن طريق التصوف .

واذا ما وصل المتصوف الى الغاية ، لم يكتف بخلاص نفسه ، والانقطاع عن جهنم الدنيا ، انتظارا لجنة الآخرة ، كما يفعل الرهبان والزهاد ، وانما هو يعود الى الناس مرة أخرى ، ليهدى الضال ويقنع الحائر ، ويدعو لمكارم الاخلاق .

وهكذا يصبح قطبا يلتف حوله المريدون ، الذين يرشدهم ويهـــذبهم ، ويأخذهم بالرياضة والتأمل ، كما أخذ نفسه ، ويدفعهم فى طريق التصوف الصحيح ، لعلهم يصلون كما وصل ، ويتخير منهم العرفاء ثم النقباء ، الذين يمشون بين الناس ويسعون فى الارض – يعلمون الناس ما تعلموا ، ويؤدبونهم كما تأدبوا .

وبهذا النظام المكتمل والتنسيق البديع ، من القطب الى المريد ، نشـأت الصوفية الاســـلامية ، وانتشرت فى أرجاء الارض ، فكانت رائدة الفتح الدينى ، ورسول الصفاء والسلام .

وليس من شك فى أن انتشار الاسلام فى البقـاع المجهولة والاصـقاع المتخلفة ، والنهضة الدينية التى نقلت قبائل وشـــعوبا بأسرها من البربرية الوحشية ، والبدائية الوثنية ، وجعلتهم أمما يشعرون بانسانيتهم ، ويهبون لتحريرهم ، ويصمدون فى كفاحهم من أجل حريتهم ضد المستعمرين ، مما نلمس آثاره الآن ، فى بلاد أفريقيا المتحررة ، انما يرجع الى الجهد الجبار الذى بذله أقطاب الصوفية منذ قرون ، ورسالة الحرية والحيـــاد الايجابى التى نادت بها الثورة المصرية .

ولست أشك فى أن العقيدة الدينية التى تأصلت فى نفوس الطبقات الكادحة

من الفلاحين والعمال المصريين ، بفضل الأزهر الشريف والطرق الصوفية، هى العاصم الأكبر لهم عن الجريمة والفوضى والانحلال الخلقى ، وغير ذلك من السلوك العدوانى الذى يسود بيئات البلاد غير الاسلامية ، التى تعيش فى مثل الظروف الاقتصادية القاسية .

وليس من شك فى أن بعض رواسب الفساد والانحلال ، والخروج عن الجادة وسواء السبيل ، وأن البدع والخرافات قد وجدت طريقها الى نفوس السذج البسطاء ، وأن بعض الطرق الصوفية اسما ، هى فى حقيقتها حرب على الدين ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، الذى نزل القرآن الكريم ، وحفظه عن كل تحريف وتبديل، وأتم نعمته على عباده بالاسلام الحنيف، قد تدارکنا برحمته .

وها هى مشيخة الطرق الصوفية ، فى عهد الثورة المباركة ، تثور بدورها على البدع والخرافات ، وتضرب بيد من حديد على المشعوذين والدجالين ، والمخبولين الذين يتاجرون باسم الدين ، وتنظم الصفوف من جديد ، وتجعل مجالس الصوفية ذكرا خالصا لله ، وترتيلا مؤثرا للقرآن ، ودروسا مثمرة فى الدين ، مما يبشر بنهضة رائعة وبعث عظيم .

وعلم النفس اذ يدعو لبناء الشخصية الكاملة فى ذاتها ، المتكاملة مع غيرها ، المتعاونة على البر والتقوى ، المتطلعة لسمو الخلق ، يقرر أن الايمان واليقين، والتعلق بأهداب الدين ، والرياضة النفسية الكابحة لجماح النزوات والشهوات ، والتأمل الموصل للمعرفة الحقة ، كل أولئك لبنات الأساس المتين لهذه الشخصية المسلمة المؤمنة المنشودة .

وفقنا الحق لمعرفة الحق ، ومصدر الخير لفعل الخير ، ومنبع الجمال لتذوق الجمال .

محمد مظهر سعيد

المستشرقون والتصوف :

الشريعة والطريقة والحقيقة

للمستشرق

رينولد . نيكولسون

استهوى التصوف الاسلامى طائفة كبيرة من رجال الاستشراق ، تخصصوا فى دراسته ، وتعمقوا فى تحليله ، وأفنوا حياتهم فى الكشف عن قواعده وكنوزه .

وقد اعترفوا جميعا بأنه قوة روحية عالمية ، وأنه القمة العالية للمعارف الاسلامية ، وأنه أحدث تطورا فى واقع الحياة العملية والايمانية والخلقية ، للامة الاسلامية .

ولا جدال فى أن رجال الاستشراق ، رغم جهودهم الضخمة فى الحقل الصوفى الاسلامى ، ورغم عمق تحليلهم ، وبراعتهم فى العرض ، وقدرتهم على البحث . قد أخطأوا حينا ، وتجنوا أحيانا ، لان التصوف ، تذوق وايمان ، قبل أن يكون براعة فى العرض ، وقوة فى الدرس .

وشيخ رجال الاستشراق بلا جدال هو العلامة « نيكولسون » ولعله أقربهم جميعا الى الاعتدال ، والى الروح العلمى الخالص ، وقد ألقى سلسلة من المحاضرات عن الأفكار البارزة فى التصوف الاسلامى أحدثت دويا فى البيئات العلمية الاوربية والاسلامية .

ونحن نقدم هنا لقراء « الاسلام والتصوف » ملخصا لاحدى محاضراته عن « الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة » وهى عناوين لجوانب عميقة وجليلة فى التصوف الاسلامى .

قال نيكولسون :

.. فى القرآن عدد غير قليل من الآيات التى تدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان على حظ من التصوف ، وقد استطاع الصوفية ، أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة ، على أن كل آية فى القرآن

تخفى وراءها معنى باطنيا لايكشفه الله الا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعانى فى أوقات وجدهم ·

ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعد أن سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلا فى القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أيا كانت وأن يقولوا ، ان التصوف ليس فى الحقيقة ، الا العلم الباطن الذى ورثه على ابن أبى طالب عن النبى ، وان وراء كل عبادة أو فكرة معنى مشرق لايدركه الا عالم عابد ·

كذلك الحال فى موقف الصوفية من الشريعة ، فقد قاموا بشعائر الدين بكل دقة بالرغم من أنهم كانوا يعتبرون أن صور العبادات مع جلالها ليس لها من القيمة ما لاعمال القلوب · وأنها فى جوهرها انما تدل على حقائق روحية فالحج مثلا رمز للبعد عن المعاصى ، والاحرام خلع للشهوات واللذات مع الثياب ·

وجمهور الصوفية يرون أن التحقق الكامل بالحقيقة ـ وهو الغاية التى سعوا اليها فى الطريق الصوفى ـ لايتعارض مع مراعاة أوامر الشرع فحسب ، بل ان مراعاة الشرع جزء لايتجزأ من نظامهم الصوفى العام وسيتضح لك هذا الرأى بعد شرح الاسس الاخلاقية والسيكولوجية لطريقتهم ·

وقد سبق أن ذكرنا أن الصوفية اعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم الله أسرار العلم الباطن المودع فى القرآن والحديث ، وأنهم استعملوا فى التعبير عن هذا العلم لغة الرمز والاشارات التى لايقوى على فهمها غيرهم من المسلمين ، وكان ذلك مما دعا الى وجود روح عامة ألفت بينهم وظهرت عنها طوائفهم وفرقهم ·

ولم يدم الحال طويلا حتى دب النظام فى صفوفهم ، فجمع كبار المشايخ حولهم جماعات من المريدين ليدرسوا معهم آداب الطريق ، ثم أصبحوا بمضى الزمن أساتذة معروفين ، ومشايخ طرق على رأس زوايا وربط يعيش فيها الصوفية ·

وكان من مبادئهم أنه لابد للمريد الذى يدخل الطريق من شيخ يرشده ويؤدبه · وقد نظروا بعين الارتياب الى كل صوفى لم يصحب شيخا من المشايخ يتأدب به ، ويلزم الطريق الذى رسمه له ، وكان سلطان المشايخ على مريديهم سلطانا مطلقا ، وكان لهم وحدهم الحق فى أن يأذنوا للمريدين

الذين تم استعدادهم بان يأخذوا عهد الطاعة لهم ، وهو عهد كانوا يطالبون به كل من أراد الدخول فى طريقهم .

أما المدة التى يقضيها المريد قبل أن يؤذن له بالعهد فهى ثلاث سنوات يصفها « الهجورى » على النحو الآتى :

يقضى السنة الاولى فى خدمة اخوانه ، والثانية فى خدمة الله ، والثالثة فى مراقبة قلبه .

ولا يكون فى خدمة اخوانه حتى يؤثرهم جميعا على نفسه ، ويعتبرهم خيرا منه ، ويعد من واجبه خدمة الكل على السواء ، ولا يكون فى خدمة الله حتى يجرد نفسه عن كل رغبة تتصل بالدنيا أو الآخرة ، ويعبد الله لذاته ، ولا يراقب قلبه حتى يحصر جميع همه فيما أقبل عليه ، ويترك كل مايشغل باله ، حتى لاتتطرق الغفلة الى قلبه فى حال مناجاته مع الله.

أما المبالغة فى احترام المريدين لشيوخهم فأمر معروف ، حتى انه ليؤثر عن ذى النون المصرى أنه قال « طاعة المريد لشيخه من طاعته لربه » .

ويطلق الصوفية اسم « الطريقة » على مجموعة القواعد والرسوم التى يفرضها الشيوخ على مريديهم ، ويشبه الطريق الصوفى فى جملته ما كان يعرف فى التصوف المسيحى فى القرون الوسطى « طريق التطهير » حتى كان أقوى أسلحة المجاهدة فى محاربة النفس ، الايثار ، والذكر الدائم ، والتأمل الباطنى .

وتتألف طريقة الصوفية من جملة مقامات يجب على السالك أن يتحقق بها ، ولا ينتقل من مقام الى المقام الذى يليه حتى يصل الى درجة الكمال فيه ، وتختلف هذه المقامات فى عددها وترتيبها ، ولكن جرى العرف باعتبار مقام التوبة أول هذه المقامات ، وأعنى بالتوبة الفرار من المعاصى ، والالتجاء الى الله .

أما الغاية الخلقية من الطريق الصوفى فهى انكار الذات الذى يتمثل فى الزهد فى الدنيا ومتاعها ولذاتها ، وفى الصدق فى القول والعمل ، من غير نظر الى مدح الناس أو ذمهم ، وفى الصبر والخشوع والاحسان الى الخلق . والتوكل على الحق والاذعان التام لارادته .

وللسالك فوائد يجنيها من الطريق ولكن للوصول الى غايته لابد له من مجاهدة النفس . والمراقبة . والذكر . ونحو ذلك مما من شأنه أن يجعله على استعداد لاحوال الوجد والجذب . وقد لايصل الى غاية الطريق البتة .

لان الوصول الى الله أمر لاينال بالكسب . بل هو موهبة يهبها الله لمن يشـاء .

ولكن كان للصوفية طريقة خاصة يهيئون بها أنفسهم للكشف والاطلاع على الغيب . وكثيرا ما كان ينكشف لهم الغيب بهذه الطريقة . أعنى بذلك ماسموه بالذكر وأحلوه من طريقتهم أعظم محل . واعتبروه أكبر ركن من الاركان العملية فى الدين .

وأبسط صور الذكر . ترديد اسم الله . أو قراءة بعض الاوراد مع توجيه القلب توجيها تاما نحو الله .

وأول مرحلة فى الذكر الغفلة عن النفس . وآخرها فنـاء الذاكر فى ذكره من غير أن يكون له شعور بذكره . واسـتغراق الذاكر فى المذكور بحيث يمتنع عليه الرجوع الى نفسه .

ولنذكر الآن موجزا عاما عن سيكولوجية الصـوفى من حيث علاقتهـا بحياته الوجدانية . كما صورها القشيرى فى رسالته . والغزالى فى النصف الثانى من الاحياء .

فى الانسان أربع قوى تتألف منـه طبيعته . من حيث هـو كائن حى حساس عاقل : وهى النفس ، والروح ، والقلب والعقل . أما النفس فهى شر محض ، لانها مركز الشهوات ، ولذا تجب محاربتها بجميع وسائل الزهد التى يسميها الصوفية بالجهاد .

وأما القلب والروح — ويضيف اليهما القشيرى ثالثا هو السر ، أو عـين القلب — فهما الاداتان الحقيقيتان فى حياة الصوفى . وان كنا لانستطيع أن نميز أحدهما من الآخر تميزا واضحا . ومهما يكن من الامر فالصوفية لايستعملون اسم القلب للدلالة على تلك المضغة الجاثمة فى الصدر ، بل يعنون به جوهرا لطيفا غير مادى تدرك به حقائق الاشياء ، وتنعكس عليه كما تنعكس الصور على المرآة .

ولكن مقدرة القلب على ادراك الحقائق وقبول صورها رهن بصفائه ، لان حجبه تختلف لطافة وكثافة بحسب مايؤثر فيـه من الحواس والشهـوات والمعاصى وحب الذات ، كما تختلف بحسب مايستفيده الانسان من الكتب وما يأخذ به من العقائد التقليدية الى غير ذلك .. ولكن بمقدار ماينكشف عن القلب من هذه الحجب تكون قدرته على المشاهدة وادراك الحقائق . والله وحده هو مطهر القلوب . ولكن أهل الطرق من الصوفية يرون أنه لابد من

ملازمة الذكر والمراقبة . ليصفو القلب ويخلو من كل شيء عدا ذكر الله .

وتخضع المقامات التى هى جزء من الرسوم العملية فى الطريق الصوفى للاحوال التى تتمثل فيها الحياة الصوفية الروحية ، فان الاحوال معان ترد على القلب من غير تعمد من الصوفى ، ولا اجتلاب أو اكتساب له وانما تحل فى قلبه وتزول عنه كما يريد الحق ، وذلك مثل الطرب والحزن والبسط والقبض والشوق والانزعاج والهيبة ، وصاحب الحال مترق عن حاله ، ينتقل من حال الى حال ، وان كانت الاحوال قد تبقى وتدوم زمنا طويلا

وقد قسموا الاحوال الى أزواج من الاضداد ، كالخوف والرجاء ، والقبض والبسط ، والحضور والغيبة ، وهو تصنيف يتفق مع الحقائق السيكولوجية التى يعرفها الباحثون فى التصوف .

والصوفى ابن وقته ، لانه فى قبضة خالقه الذى يقلبه فى الاحوال ، فهو غائب عن ماضيه ، لايخطر بخاطره خاطر عن مستقبله ، وأرقى الاحوال جميعا حال الجذب — أى حالة الاصطفاء من الله —

أما كرامات الاولياء فى نظر الصوفية ، فهى أمور يجريها الله على أيديهم ، ومواهب يهبها الله اياهم ، لان شعور الولى نحو ربه يحول بينه وبين ادعاء نسبة كراماته الى نفسه ، ولكن بينما يعتقد خاصة الصوفية أن الاعتماد على الكرامات يمنعهم من الوصول الى قلب الحقيقة ، وأن أعظم كرامة للولى هى فناؤه عن الصفات الذميمة ، وبقاؤه بالصفات الحميدة ، لايستطيع عامة الصوفية مهما حاولوا أن يحولوا بين أنفسهم وبين الشهرة عن طريق ما يظهره الله على أيديهم من القوى ، التى يسميها المسلمون خوارق العادات ، ويسميها الاوربيون قوى فوق الطبيعة

وقد اعتبر الصوفية ، الحب سر الوجود وعلته الاولى ، كما اعتبروه بابا من أبواب المعرفة الباطنية

فالحب ، والذكر ، والصفاء ، والزهد ، والمجاهدة والكشف ، كلها معانى حية يعيش فيها الصوفى ، ويدير حياته حولها ، ولقد بلغ من شيوع هذه المعانى فى البيئات الاسلامية ، أن أصبح الاسلام دينا صوفيا الى حد كبير .

فضيلة الإحسان

للاستاذ أبو بكر ذكرى ـ أستاذ الاخلاق بكلية أصول الدين

يقول أحد الحكماء : لولا الفضيلة لكانت الحياة مزرعة من الأشجار الشائكة لا ثمرة ترجى منها ولا مكان تحتها لمستظل . وقال آخر : لولا ظلال من الفضيلة تظل الأرض لكان بطنها خيرا من ظهرها اذ لن يكون على ظهرها سوى الجحيم بعينه . وحقا قالا وصدقا وبرا .

واذا كانت الفضائل فى جملتها هى زينة الحياة وأنسها وأمنها وسعادتها فان لفضيلة الاحسان من بينها شأن وأى شأن !

وكلمة « الاحسان » لها فى لغتنا معان مختلفة : فقد يراد منها الاجادة فى العمل وفى الصنائع والحرف ونحوها . يقال : فلان يحسن كذا من الأعمال ، وكذا من الصنائع وكذا من الفنون .. وقد تطلق الكلمة على بسط اليد بالبر والمعروف لمن هو فى حاجة اليه . وقد تطلق على مساعدة الفقير والمسكين . والمعنى الأول وهو الاجادة فى الأعمال قد لا يكون من الأخلاق فى شىء . فكم من نابغة فى عمله وهو من شر الخلائق وأكثرهم أذى للخلق . واذن ، فليس مما نقصده هنا بكلمة « الاحسان » .. انما نريد من الاحسان المعانى الأخرى ، اذ هى الجديرة بأن تعد من مكارم الأخلاق .

وفى كتاب الاحياء فى القسم الخاص بالفضائل عد الامام الغزالى «الاحسان» من فضيلة العفو فقال : « فضيلة العفو والاحسان » . وهناك تكلم على هذه الفضيلة كلاما عذبا جميلا فليطلبه هناك من يريد مزيدا من البيان .

وقد نرى من الناس من يجعل فضيلة الاحسان أكثر من العفو ، وأبعد مطلبا ، وأبعد غورا : كما ورد من ان « المأمون » بن « هرون الرشيد » رحمه الله غضب يوما على غلام له وهم فيه بأشد عقوبة ، فقال الغلام فى ذلة وضراعة ويأس : يا أمير المؤمنين « والكاظمين الغيظ » فقال : كظمت غيظى .. فقال : « والعافين عن الناس » فقال : قد عفوت عنك . فقال : «والله يحب المحسنين» فقال له : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى . وبهذا نعرف أنه جعل الاحسان فوق العفو لأنه زاد المثوبة فى مكان العقوبة . وهذا غاية الاحسان . وبعض الروايات تنسب هذه الواقعة الى « جعفر الصادق » رضى الله عنه .

وفضيلة الاحسان تنشأ عن الرفق والحلم وكمال العقل وقوة الأعصاب وثقة المرء بنفسه التى تتعالى عن الصغائر ولا تبالى بالمثيرات أكثر مما ينبغى .. ولها مظاهر كثيرة تتجلى فيها : فمنها بر الوالدين وبذل الوسع فى ارضائهما بما لا يخالف قواعد الشرع والدين والأدب . وقد جاء فى القرآن الكريم « وبالوالدين احسانا » ومنها بر ذوى القربى ومحاسنتهم ومعاونتهم عند الحاجات وحين نزول الشدائد .. ومنها الرأفة بالمساكين والفقراء والعطف عليهم بما لا يورثهم مفسدة أو يساعدهم على شر . لذا يقول سبحانه « وبذى القربى واليتامى والمساكين .. ومنها العفو عن زلات أصحاب المروءات . واقالة عثراتهم والاسراع الى نجدتهم عندما تحل بهم نكبات الزمان ، ودون أن يكلفوا فى ذلك ، ذل السؤال وبذل ماء الوجه .

ومن أبدع ما يؤثر فى ذلك ان « نصيبا » الشاعر أصابته ، يوما ، خلة (فقر وسوء حال) فلم يشعر أحد بحاله حتى دخل على « عمر بن عثمان ابن عفان) رضى الله عنه ، فنظر عمر اليه فعرف من قذارة قميصه تحت ثيابه مقدار ما يعانى من جهد وبؤس ، فأسرع الى مده بما يصلح حاله ، فأنطقه الاحسان بأبياته الخالدة :

سأشكر عمرا ما تراخت منيتى ... أيادى لم تمنن وان هى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانه ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ويجب أن لا ننسى ان من أعظم مظاهر الاحسان فى عصرنا هذا انشاء دور البر وملاجىء اليتامى ومبرات العجزة وذوى الحاجات ، وفتح المستشفيات ومعاهد العلم ودور الصناعات لكى ينتفع بها المحتاجون ويسعد بها المحرومون .. وما كثر هذا النوع من الاحسان فى وطن الا صار فيه بشير خير وفلاح وتقدم وسعادة .

والاحسان على العموم من خير ما تراض به الطباع القاسية ، وتهذب به النفوس الجامحة وتغسل به الاحن واحقاد القلوب ، وتملك به نفوس ما كان الى امتلاكها من سبيل .

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان

ولقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد المحسنين وامامهم وحامل لوائهم وقائدهم الأول وفارسهم المعلم . عرف بذلك فى حياته الكريمة المباركة

وكان به أعرف يوم دخل « مكة » فاتحا فيما يقرب من عشرة آلاف بطل من جنوده المؤمنين فأصبح فى قبضته أعناق أعدائه الألداء الذين آذوه ثلاثة عشر عاما وأخرجوه وقاتلوه ، فلم يكن منه الا أن من عليهم وعفا عفو القادرين وقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . بل لقد أعطى رأس أعدائه وقائدهم الأعلى « أبا سفيان بن حرب » مكرمة خلدها التاريخ اذ جعل داره حرما آمنا من دخلها أمن على نفسه وماله ، وناهيك به من تشريف وتكريم ، فأصبح هذا الطاغية عونا على نشر مبادىء الاسلام وتبدل ظلال قلبه المعتم ضياء وهاجا من الحب والايمان .

وعلى هذا الهدى المحمدى الأسمى فى الاحسان سار أصحابه رضوان الله عليهم فما كانوا يفتحون بلدا أو قطرا الا واحسانهم يسبقهم اليه قبل أن تدركه سيوفهم ورماحهم فتفتح لهم الحصون المغلقة وتتهاوى لهم القلاع الشامخة وتسعد بحكمهم البلاد والعباد .

ولعل ما بقى علينا فى هذه الكلمة المحدودة ان ننبه على ان الاحسان بذر من أكرم البذور لا بد أن تتخير له أرضه وتهتطاب له منابته ، اذ ليس كل أديم ينبت البذر ، ولا كل أرض تصلح للبناء عليها .

فالحر الكريم يأسره الاحسان ويسترقه والوغد اللئيم يبطره الاحسان ويطغيه . وما أحسن قول المتنبى :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقول زهير بن أبى سلمى :

ومن يفعل المعروف فى غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم

ولبعض الناس ممن رقت طباعهم وتجردت من الأنانية وبلغت غاية التسامح مذهب آخر فى الاحسان اذ يقول أحدهم :

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه ما خاب قط جميل أينما زرعا

ويقول آخر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

والى هنا نكتفى بهذه الكلمة الخفيفة مراعاة للزمان والمكان . والله نسأل ان ينفعنا بما نعلم وبما نعلم ، وبما نتعلم انه سميع الدعاء .

أبو بكر ذكرى
أستاذ الأخلاق فى كلية أصول الدين

أحاديث صريحة
مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية

تتجه الانظار اليوم الى النهضة المباركة المتوثبة فى المحيط الصوفى ، حيث أخذت تلك القوة الضخمة البعيدة الاثر فى المجتمع الاسلامى ، توحد صفوفها ، وتنقى جموعها من الدخلاء والادعياء ، وتعد نفسها لرسالتها الخالدة ، فى المحافظة على الآداب الاسلامية ، والاخلاق المثالية ، والعبادة الربانية،ونشر أضواء الروحية الاسلامية الايجابية التى طالما اعتصم العالم الاسلامى بها حيال الأحداث العالمية التى تواثبه وتحيط به .

ولهذا فقد اتجهنا الى الرجل الذى يحمل اليوم أمانةالتصوف اتجهنا الى مقر المشيخة العامة للطرق الصوفية ، لنستمع الى رأى سماحة السيد الاستاذ الشيخ محمد محمود علوانشيخ مشايخ الطرق الصوفية ...

قلنا لسماحته : ماهى مشاعرك .. حينما أسند اليك هذا المنصب الكبير .. فقال :

- أنا لاأستطيع أن أفسر لك حقيقة مشاعرى حينما علمت بهذا التعيين اذ وجدت نفسى وفجأة أزاء مسئوليات عظيمة .. ألقيت على كاهلى .. وهذه المسئوليات أمانات تتمثل فى عدة ملايين من أبناء الطرق الصوفية يعيشون فى بلادنا وغيرها من البلاد الاسلامية .. ثم هذه الثقة التى وضعها فى الرئيس جمال عبد الناصر .. انها مشاعر عديدة كان على أن أستعين بالله عليها .. ولم أجد أمامى الا أن أسجد لله شكرا على هذه النعمة وأسأله العون على تأدية الامانة وأردد قوله تعالى (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا .. وهب لنا من لدنك رحمة ..)

مشاكل وحلولها

السؤال الثانى : هل ترون سماحتكم أن الطرق الصوفية تحتاج الى اصلاح .. واذا كان فما هى خطواتكم فى هذا السبيل ..؟

- الصوفية كحركة روحية من العقائد الدينية القديمة .. قدم الاسلام .. وكل حركة فى التطبيق يجب أن تتوافق مع العصر والبيئة التى تظهر فيه .. وكل تطبيق أيضا لابد وأن يصادفه بعض العقبات التى تجعله فى نظر البعض خاطئا .. وهم المتفرجون .. أو ضعفا عند البعض الآخرين .. وان كان فى تطبيق الحركة الصوفية بعض الضعف .. فان مرد هذا

الى الاجتهاد فى التطبيق .. لا أصول عقائدنا وحضرة النبى عليه السلام يقول: (ان المجتهد المخطىء له أجر .. وكلنا نجتهد .. وكلنا نهدف الى الكمال ..

واذا كان قد أصاب بعض أجزائنا ضعف فان سببه أمرين .. الاستعمار الذى يريد تشويه العقيدة الاسلامية الحقيقية ، وضعف البصر والبصيرة عند النقاد الذين تربوا فى أحضان استعمارية بحتة .. تبتغى الهدم لا البناء .. والا فقل لى من الذى وهو ينتقدنا قال ان هذا خطأ .. والصواب أن يكون كذا .. انه يكتفى بتشويه الحقائق ليعيش فى جو خانق لا أكثر .. (وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض ..)

ولهذه الجوانب التى أسلفت ذكرها .. وما أقلها .. تجدنى عاكفا أنا واخوانى فى ايجاد الحلول لها .. وسنتوصل قريبا باذن الله الى معالجتها .. ويكفى أن تعرف أن زملائى هؤلاء من صفوة المثقفين فى البلد والذين يشغلون مناصب الاستاذية فى الجامعة .. ومراكز رئيسية فى الدولة ...

المـــوالد

– مارأى سماحتكم فى اقامة الموالد .. وألا ترون سماحتكم أن بعض مايحدث فيها يتنافى مع الآداب العامة .. واذا اتفقتم معى .. فما هو الدور الذى قمتم به سماحتكم نحو الغاء هذه البدع .. ؟

– أريد أن أسألكم بدورى .. هل فى تذكر عظيم من العظماء مايشين..؟ أم أن الدول كلها تتبارى فى الاحتفال بذكرى كل قائد وعظيم فيها ..؟

وكذلك نحن نحتفل بذكرى عظماء .. أولياء..وفقهاء ..وهم من ارسخ الناس قدما فى التاريخ الانسانى اذ لاينكر آثارهم فى حياة الشعوب .. وكانوا قادة لنا فمن أولى الناس بالاحتفال بذكراهم منا أنفسنا .. ونحن اذ نحتفل بذكراهم انما نكرم المعانى الضخمة التى عاشوا من أجلها حتى نقتدى بهم.. ونتذكر ونذكر دائما برسالتهم ..

والموالد .. مواسم يلتقى فيها المريدون.. يتعارفوا ويتآلفوا .. ثم هى دائما أسواق لتبادل التجارة . ومناسبات أفراح لكل سكان البلاد التى بها أولياء ..

أما البدع التى نراها فهى ليست من صنعنا .. ولا تتصل بالموالد فى شىء . ولسنا المسئولين عنها .. ولذلك فقد كتبت الى السيدين وزير البلديات ومحافظ القاهرة فور تولى منصب المشيخة العامة أطلب منهما التعاون معنا فى منع كل مايشين بذكرى الموالد العظيمة بمنع كل مايعرض فى ساحة المولد من رقص وبدع وخلافه ونحن أكثر الناس تألما لوجوده ..

الصوفية .. وأعداؤها

– يرى بعض الناس أن الطرق الصوفية يجب أن تحارب وانها شىء يجب أن يزول لان ضررها أكثر من نفعها ..؟

– لعلى ألقيت بعض الضوء على هذا السؤال قبل أن توجهه فى جوابى على سؤالك الثانى .. والذى أضيفه هنا أن هذه نغمة ارتفعت قليلا ثم انتهت..

وكان مرجعها الى الجهل بحقيقة الصوفية والخلط بينها وبين بعض البدع الشائعة وأعتقد أن الرأى العام المستنير يتفهم الامور على حقيقتها

البهائية .. والوجودية

- أريد أن أسأل سماحتكم عن رأيكم فى البهائية كمذهب دينى .. وعن الوجودية .. كمذهب فكرى ..

- البهائية هى محاولة خاطئة لتحميل القرآن أكثر مما يحتمل وهى ليست من الدين فى شىء ..

أما الوجودية .. فهى مذهب فلسفى معاصر .. كغيرها من المذاهب العقلية وهى تعد (موده) لن تلبث أن تنحسر ليحل مكانها طبعا (مودة) جديدة .. ورأيى أن لانقف طويلا ونحن فى رحفنا المقدس نحو الحياة الافضل عند مثل هذه الحالات ..

التبشير

- أحب أن أسأل سماحتكم عن رأيكم فى الحركات التبشيرية المسيحية وهل ترون اشراك مشايخ الطرق الصوفية فى التبشير بالدين الاسلامى . وما هى خطواتكم فى سبيل ذلك ...

- المبشرون المسيحيون يخدمون دينهم على طريقتهم ومن واجب رجال التصوف الاول التبشير بدينهم وتعليمه .. وهذا ما قاموا .. ويقومون به فعلا وليس هذا بجديد بل انهم حملوا هذا العبء منذ بدء الدعوة الاسلامية ووصلوا بالرسالة الى آفاق ما كانت لتبلغها بغيرهم فهم الذين أنشأوا المساجد ونشروا الاسلام فى الصين والفيلبين .. وأندونيسيا .. والملايو .. والهند .. ووسط أفريقيا

عدد الطرق

- ماعدد الطرق الموجودة بمصر :

- عدد الطرق الصوفية فى مصر ، هو ٦١ طريقة ، تتولى جميعها الدعوة الى الله ، وتربية المريدين ، وتبصيرهم بأمور دينهم ، واشاعة روح المحبة والتعاون بينهم

الصوفية فى مصر والعالم

- هل للصوفية المصرية ، علاقة ، بالطرق الصوفية فى البلاد الاسلامية الاخرى ؟

- علاقة الطرق الصوفية فى مصر باخوانهم صوفية العالم الاسلامى علاقة وثيقة ، فالمسلم أخ المسلم ، والصوفية أحرص الناس على هذه الاخوة ، وان كانت هذه الصلات ، قد تراخت فى السنوات الاخيرة ، فمهمتنا الاولى ، هى تنميتها وتقويتها لخير الاسلام والمسلمين .

ونحن شارعون فى هذا بأذن الله ، عن طريق التراسل والزيارة عند مايحين وقتها والله يوفقنا ويعيننا جميعا

صلاح عزام

فى الطريق إلى مكة

اعتنقت المستشرقة البريطانية « لادى ايفيلين كوبولد » الاسلام بعد دراسة عميقة للأديان العالمية ، وأسمت نفسها – زينب – وطوفت بالعالم الاسلامى ، وأدت فريضة الحج ، ثم ألفت كتابا عن حجها واسلامها ، أسمته « فى الطريق الى مكة » أحدث «دويا فى أفق الفكر الغربى . ونقدم هنا ملخصا لمقدمته الرائعة بمناسبة موسم الحج .. »

كثيرا ما سئلت متى وأين اعتنقت الاسلام ؟ ولا أستطيع بالدقة أن أذكر الوقت الذى أشرق على فيه نور الاسلام ، ولكن على ما يظهر لى ، اننى مسلمة منذ فجر حياتى ، وليس هذا بالعجيب ، اذا ما عرفت أن دين الاسلام هو دين الفطرة ، أى أنه الدين الطبيعى ، أو كما قال أحد أعلام الغرب « دين العقل » .

وحتى عندما سألنى قداسة البابا ، وأنا فى زيارة للفاتيكان عن دينى ؟ وعما اذا كنت كاثوليكية ، تريثت فى جوابى ، ثم قلت فجأة ، ودون تدبر سابق ، اننى مسلمة .

وهنا انبلج الصبح فى عينى ، وأدركت أن دراستى للأديان ، وللاسلام بصفة خاصة ، قد أثرت فى وجدانى ، وفى تفكيرى ، دون أن أتنبه لعمق التجربة التى قامت فى روحى ، وفى أصالة الدراسة التى غيرت مجرى حياتى .

وكنت كلما ازددت قراءة ودرسا ، ازددت يقينا بهذا الدين العظيم ، واعتقدت أنه الدين العملى ، الدين القيم ، القدير على حل مشكلات العالم ومعضلاته ، ووسيلة سلام وهناءة للانسانية ، ومنذ ذلك الوقت ، ثبتت عقيدتى فى أن لا اله الا الله الواحد الأحد ، وأن موسى وعيسى ومحمداً عليهم السلام ، وغيرهم أنبياء موحى اليهم وأن الله أرسل الى كل أمة رسولا ، وأننا لم نولد

فى الخطيئة ، وانا لسنا فى حاجة الى وسيلة أو شفيع الى الله ، وأن خلاصنا انما يكون منا وبأعمالنا .

ان كلمة الاسلام ، معناها التسليم لله ، ومعناها أيضا السلام ، والمسالم هو الذى يخضع لأوامر خالق الدنيا ، وهو الذى يكون على سلام ، مع الله ، ومع الناس .

ويرتكز الاسلام على حقيقتين أساسيتين هما : وحدة الله وكون المسلمين جميعا أخوة ، وليس فى هذا الدين طقوس دينية تربك حياة المسلمين ، وهو فى ذاته دين الثقة المطلقة .

سئل النبى صلى الله عليه وسلم مرة :

ما هو الاسلام ؟..

فأجاب :

اطاعة أوامر الله ، والرحمة بالناس .

وسئل مرة أخرى ما هو المسلم ؟ فأجاب :

هو من سلم الناس من يده ، ومن لسانه .

وقال فى موقف آخر :

ان معيار دين الرجل ، معاملته للناس - فالدين المعاملة .

وجاء فى القرآن :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمـــلا صالحـــا ، وقال اننى من المسلمين » « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

وجاء فيه أيضا :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان واتياء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

وفيه أيضا :

« ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم

بأحسن ما كانوا يعملون » .

وفى الكثير من آيات القرآن حض على الايمان ، وعمل الصالحات وليس من أدب الاسلام ، أن تكون مؤمنا ثم لا تعمل صالحا .

بقى على أن أذكر شيئا عن مركز الحج فى الاسلام ، فعلى المسلم الذكر أو الانثى أن يحج مرة الى مكة المقدسة .

وللحج فى الاسلام مقام عظيم ، وأثر ضخم فى الدين والدنيا ، انك عند وصولك الى البقاع الطاهرة ، المشرقة بآثار الماضى ، المعطرة بأنفاس الذكريات ، تجد نفسك واحدا من هذا الجمع الهائل المحتشد الذى جاء من كل أطراف الدنيا الى هذه البقعة المباركة المقدسة ، لتخضع لله الواحد الأحد ، ولتبجله متأثرا بالجلال المنبعث من موطن الالهام ، بذكر النبى وما لاقاه من اضطهاد وآلام وتعذيب فى سبيل الدعوة الى عبادة الله الواحد الرحمن الرحيم ، فيحى فى الذاكرة تلك السنين الأولى التى مرت بالاسلام .

والحج انما فرضه الله ليجمع بين المسلمين ، واذا كان هناك ما يوحد بين قوى المسلمين جميعا ، ويحيى موات قلوبهم فهو الحج ، انه ليمنحهم صعيدا طيبا يجتمعون فيه من أقصى البلاد الاسلامية الى أقصاها فى كل سنة ، فيتقابلون ويتعارفون ، ويتبادلون الرأى فى شئونهم ، ويقارنون بين الأحداث التى تغمرهم ، ويوحدوا أنفسهم جميعا ، لعمل الطيبات ، وهنا تتلاشى الفروق بين الجماهير المحتشدة ، فلا يكون لسيد فضل على مسود ، وانما المسلمون أخوة ، يشد بعضهم بعضا .

واذا ما انتهت واجباتهم الدينية ، اجتمع التجار منهم فتباحثوا فى شئونهم الخاصة بهم ، واجتمع المتفقهون فى الدين ، فيتباحثون ، ويتذاكرون ويتفاهمون فيما أشكل عليهم ، وقد يطيب للعلماء جميعا أن يتشاوروا ويتذاكروا .

فالأدباء فى أدبهم ، والاقتصاديون فى اقتصادياتهم ، والسياسيون فى سياستهم ، فهو اذن عصبة أمم ، ومجمع للدين ، والفن ، والعلم ، وغرفة تجارية جامعة ، وقد قال الأستاذ « سنوك هرجرونجى » :

« ان عصبة الجنس البشرى « هيئة الأمم » أسسها الاسلام قبل أن يفكر

فيها أحد ، وشاءت هيئة الأمم ، أن تحتذى حذوها ، وأساسها ما أراده دين محمد عليه السلام ، من مساواةوعدل بين الناس » .

ان العالم الاسلامى ليستطيع أن يحيل مؤتمر الحج الى قاعدة ضخمة لوحدته ووحدة الانسانية كافة فى رباط من الحب الطاهر والاخاء النقى .

الى أكبر مجمع عالمى يتذاكر فيه الناس تحت ظلال الايمان ، وأنوار الروح ، رسالة الانسان على هذا الكوكب ، رسالته كخليفة لله ، لا كحليف أمين للشيطان .

ان الروحانية التى تشع من المؤمنين فى موسم الحج وقد تجردوا من دنياهم وشهواتهم وأهوائهم ، واتجهوا الى ربهم مهللين ومكبرين وداعين ، لهى القوة الوحيدة التى تربط هذا الكون من أن يزول، لأنها حلقة الاتصال التى تربط بين الناس وبين من بيده ملكوت كل شىء

ان دعوات الحجيج يوم عرفات، لهى الشفاعة الصاعدة الى الله ليبقى على هذا الوجود .

لك الخلود يا يوم عرفات .. وجمعنا الله بك وأبقاك . انه سميع مجيب .

* * *

وصية نبوية

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير .

أوصانى ألا أنظر الى من هو فوقى ، وأنظر الى من هو دونى وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم ، وأوصانى أن أصل رحمى ، وان أدبرت ، وأوصانى :ألا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانىأنأقول الحق وأن كان مرا ، وأوصانى أن أكثر من قول ، لا حول ولاقوة الا بالله ، فانها كنز من كنوز الجنة » .

رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه .

نظرة القرآن إلى الأخوة الإسلامية

للدكتور محمد البهى

القرآن الكريم يذكر «المؤمنين» على أنهم أمة واحدة لا لأنهم ينتسبون الى قبيلة واحدة ولا لأن ألوانهم وأجسامهم متشابهة ومتقاربة ، ولكن لأنهم يشتركون فى تفكير واحد، ويشتركون فى نظرة واحدة الى الحياة، وفى مقياس واحد يقيمون به أمورها وفى هدف واحد يبغون جميعا الوصول اليه ، وكأنهم فى سعيهم الى هذا الهدف يسعون اليه وهم فى صف واحد ، وفى خطوات متساوية ليس فيها متقدم ولا متأخر، ولا جانب الى اليمين وآخر الى اليسار. يقول الله تعالى فى أول سورة البقرة : «ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » . فجعلهم جماعة وخاطبهم بخطاب الجمع لأنهم اجتمعوا على الايمان بقدر مشترك ، وربطوا تفكيرهم بتنفيذ هذا الايمان .

واذن عندما تقترب الفكرة من الفكرة يكون الالتقاء بين الناس ، أفرادا أو جماعات . وعندما يصير الاشتراك فى الرأى ، والتقدير ، والهدف والأمل الى وحدة فيهما ، تكون الأخوة بين الانسان والانسان على أتمها ، وتكون المجموعة من الناس جماعة واحدة . وأمة واحدة وشعبا واحدا . واذن أشد الروابط وأقواها الاشتراك فى التفكير ، والاشتراك فى اتجاه الحياة .

واذن طالما كان الاشتراك فى التفكير والأمانى عاملا فى قيام الجماعة والتماسك بين أفرادها ـ يميل عدو الجماعة المتحدة المتآخية الى تشتيت التفكير فيها وتوزيع اتجاهها الى مناحى متعددة ، فيثير العصبية الشعوبية مرة ان كان فى الجماعة تعدد فى القبيلة أو الجنس ويثير الافتراق فى اللهجة مرة أخرى ان وجد هناك اختلاف فيها ، أو يعمد الى الضغط على اقتصادياتها أو الى ايذاء أسماع أفرادها بنابى اللفظ والقول المختلق ـ الى غير ذلك من الأسباب التى من شأنها ان تجعل الأفراد يميلون بالتفكير الى شأنهم الخاص

بدل الحرص على بقاء تفكيرهم فى الدائرة المشتركة، وبذلك تضعف الجماعة، أو تتلاشى .

وقد تحدث القرآن هنا فى قوله تعالى : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا ، أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » . فذكر ان الجماعة التى قامت على الاشتراك فى التفكير ، وتآخى أفرادها على وحدة الفهم للحياة الانسانية لا بد أن تبتلى من عدوها بعوامل الفرقة العديدة ، ولكن نجاتها من محن هذا الابتلاء انما تتحقق فى صبرها ، وفى اتقائها الخضوع لما يفرق بينها ، ويشتت وحدتها ومما يفرق بينها ويشتت الوحدة فيها العودة الى الفرقة فى الرأى والابتعاد عن الالتقاء فى التفكير .

ان ما يذكره القرآن هنا فى أساس وحدة الجماعة من الاشتراك فى الاتجاه ، والاشتراك فى النظرة الى الحياة ، وما يذكره أيضا من أمر ابتلاء الجماعة من عدوها باثارة شتى عوامل التفرقة بينها ، ثم ما يذكره من علاج حاسم للخروج من أزمة هذا الابتلاء وتفويت الأمر على هذا العدو بالصبر وعدم الاذعان لما يأتى به من مظاهر الضغط ـ ما يذكره القرآن هنا هو السنة الطبيعية فى قيام الجماعة ، وفى محافظتها على وحدتها ، وتماسكها ، وفيما ينتظر من عدوها نحوها .

ان القرآن اذ يوصى هنا أصحاب الجماعة الواحدة، التى قامت على الاشتراك فى مثل الحياة وأهدافها ، من الصبر والتحمل ، عندما تمتحن بالأزمات من عدوها يجىء فى آية أخرى ويبين ان هذا الصبر وتحمل الأزمات فى سبيل الابقاء على الوحدة فى الجماعة هو هدف رفيع يجب أن يكافح الانسان فى سبيله دائما ، ولا يوازن بينه وبين ما يبتغيه العدو من تفرقة وتشتيت . فسبيل الوحدة هو سبيل الله ، وسبيل التفرقة والايذاء دائما هو سبيل الشيطان ، وما لله وينسب الى الله أبقى وأقوى ، وما للشيطان نهايته الضعف والزوال .

الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

صدق الله العظيم .

بطولات صوفية :

القائد الصوفى الذى هـزم الغـــرب

للأستاذ محمود شلبى

لاحظت وأنا أقرأ سير عظماء الاسلام ، أن هنـاك صفة واحدة هى سر عظمة هؤلاء العظماء ، ولباب شجرة العبقرية الاسلامية .

تلك الصفة الواحدة هى « التصوف » بلغة أهل الحقيقة ، أو الايمان بلغة أهل الشريعة .

ولتجدن أئمة هذا الدين فى كل نواحيه ، الصوفية والذين آمنوا ، ذلك بأن منهم الخلفاء الذين اشـتهروا بالعدل ، والقواد الذين عرفوا بالجـرأة ، والعلماء الذين أثر عنهم الصلابة فى الحق ، والعباد الذين سجل لهم التاريخ التفوق فى العبادة ، فهم الأئمة فى كل ناحية ، البارزون فى كل ميدان .

فالصوفى الحق هو انسان آمن ايمانا صحيحا ، ثم أخـذ يتكامل ايمانه ، ويزداد هدى ، حتى تحول من مؤمن فروض الى مؤمن نوافل « ما تقرب الى عبدى بمثل ما افترضته عليه ، وما يزال عبـدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه .. » .

ومتى كان المؤمن كذلك ، ارتفع الى مقام الامامة ، لا لأنه يسعى ليكون اماما ولـكن لأن ذلك هو الوضع الطبيعى للأمور ، والارادة الماضـية لله سبحانه ، والمـكافأة الربانية المعجلة لأهل الله فى هـذه الدنيا « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » .

رفعهم الى مقام الامامة لما صبروا على طاعته فى الفروض ، ثم لم يقنعوا بذلك فسارعوا الى زيادة الطاعات بالنوافل ، ثم لم يقفوا عن ذلك ، بل ذهبوا يهدون الناس بأمر الله وعلى شريعة الله .

والامامة هنا امامة فى الدين والدنيا وامتياز فى كل نواحى الحياة .

ولكى ندرك ذلك علينا أن نمد أبصارنا فوق الصدر الأول للاسـلام ، ولسوف نجد أن الأمة الاسلامية فى شبابها ، كانت أعظم أمة فى كل شىء .

وكانت أقوى أمة في الأرض ، وآية ذلك أنها كانت تشمل العالم القديم المعمور وقتئذ كله ، اللهم الا بعض دويلات أوروبا . أما المساحة من المحيط الهندى الى المحيط الأطلسى ، ومن جنوب أوروبا الى أواسط أفريقيا ، فهذا كله عالم اسلامى ، وامبراطورية واحدة ، يحكمها أمير المؤمنين ، وخليفة رسول الله .

وكانت هذه الأمة خير أمة فعلا بشهادة الله سبحانه « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... » . كان مصدر الخيرية فى تلك الأمة ، وسر عظمتها التى شهد بها الله فى كتابه ، وشهد بها التاريخ فى سطوره ، أنها تؤمن بالله ، أنها أمة متصوفة ، يحكمها خليفة صوفى ، أمثال أبى بكر ، وعمر وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز .

واذا نظرت الى تلك الأمة ولماذا سادت العالم ، رأيت ايمانا فى عوامها وتصوفا فى قادتها وخواصها .

فاذا استعرضت مواقف أمرائها الرائعة التى عطرت التاريخ وجدت سرها هو التصوف .

واذا راعك عظمة علمائها وروعة مواقفهم من الأمراء ، فاعلم أن سر ذلك كله هو نفحة التصوف السحرية فى قلوبهم .

والقاعدة العامة التى لا تختلف ، أن سر عظمة هذه الأمة هو التصوف .

وان سر عظمة أبطال هذه الأمة هو التصوف .

وأنه اذا راعتك بطولة ما من بطولات الاسلام ففتش عن التصوف فى ثناياها .

واليك لمحات من تصوف شخصية اسلامية ، قهرت الغرب ، وفتحت الشرق ، فهى بذلك هزمت الدنيا بأكملها .

ذلك هو صلاح الدين الأيوبى ، القائد الصوفى .

تحدث الناس عن كل شىء من نواحى هذه الشخصية عن فتوحاته ، عن بطولاته ، عن سماحته ، عن كرمه ، ونسوا شيئا واحدا هاما ، هو الأصل الأصيل والنبع الدفين لشخصية البطل .

ذلك هو صوفية صلاح الدين .

فهل كان صلاح الدين صوفيا حقا أم أن هذا زخرف القول غرورا ؟.

سأروى لك بعض المواقف للرجل ، لتحكم بعدها على شخصيته ومدى صلتها بالتصوف .

عندما مات الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين فى مصر ، صادر صلاح الدين رئيس وزراء مصر قصور الخلافة وأموال الفاطميين ، ووزعها على من شاء من الحاكمين والمحكومين بمصر ، وحرمها على نفسه ، واكتفى بالاقامة فى دار الوزارة التى كان يشغلها من قبل ، فهل يفعل ذلك الا من كان فى قلبه شىء من زهد صوفى ؟

ولى صلاح الدين الوزارة فى مصر فى سن الثانية والثلاثين ومات فى سن السابعة والخمسين . وقضى الرجل ثلاثين عاما أو يزيد حاكما مطاعا ، تدرج فيها من ضابط صغير فى حملة أسد الدين شيركوه التى جاءت لنجدة مصر من السقوط فى أيدى الصليبيين ، الى رئيس الوزارة فى مصر ، ثم جاهد وجاهد حتى ضم لملكه اليمن وشمال أفريقيا وسورية والحجاز والعراق ، كل ذلك بالحرب والجهاد ، فاذا تم له توحيد المسلمين ، قادهم جميعا وحارب بهم الصليبيين ، حتى انتصر عليهم فى موقعة حطين المشهورة ، وأخيرا كلل نصره بفتح بيت المقدس واعادته الى الدولة الاسلامية .

وقضى الرجل هذه الثلاثين عاما فى غزو دائم ، لم يهدء لحظة واحدة ، فهو دائما يقاتل ودائما يحارب ، ودائما يرغب فى الموت والشهادة . فهل يحدث هذا الا من رجل فى قلبه نفحات التصوف ؟.. وهل يقبل على الموت بسهولة فى سبيل الله الا من ملىء قلبه بنور التصوف ؟..

والآية المشتقة من ذلك أن الرجل حارب الدنيا بأكملها وانتصر على الدنيا بأكملها . وتفصيل ذلك أنه ما فتىء يحارب العالم الاسلامى فى الشرق حتى انضوى تحت لوائه ، ثم حارب العالم الغربى المتجمع فى الامارات اللاتينية بالشرق حتى انهزم أمام ارادته ، فاذا علم أن العالم آنئذ لم يكن سوى هذين المعسكرين ، المسلمون فى الشرق ، والنصارى فى الغرب ، أدركنا أن الرجل

حارب العالم كله ، وانتصر على العالم كله . فهل يستطيع ذلك الا من كان متصوفا .

واليك أقصوصة من سيرة البطل ، تكشف عن روحه المتصوفة ، وقلبه الخالص لله .

« لما رجع السلطان صلاح الدين من احدى غزواته الى دمشق فى محرم سنة ٥٨٤ هـ - ١١٨٨ م ، وجد الصفى بن الفايض وكيل الخزانة قد بنى له دارا بالقلعة هائلة مطلة على الشرف القبلى ، فغضب عليه وعزله وقال : انا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد ، وانما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد فى سبيله ، وهذا الذى عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له » .

ان هذه السطور تكشف حقيقة خباياه ، وتبين الى أى مدى كان الرجل يحب الله عز وجل .

لقد كان صلاح الدين عاليا جدا فى ذلك الموقف بقدر ما كان ذلك الذى بنى له دارا بالقلعة تافها جدا ، وشتان ما بين النفسيتين . ذلك يحب عبادة الله والجهاد فى سبيل الله ، وذلك مشغول بالدنيا يبنى القصور ويركن اليها . وفرق ما بين الاثنين كفرق ما بين السماء والأرض .

وأروع من ذلك كله ، أنه فارق الدنيا ولم يترك مالا يورث أو ثروة تقتسم .

فقد ثبت أنه مات ولم يترك فى خزانته من الذهب سوى جرام واحد أى دينار واحد . ولم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ولا بستانا ولا شيئا من أنواع الأملاك .

فاذا كان الصوفى هو الرجل الذى يزهد فى الدنيا ، فصلاح الدين هو الزاهد عن اقتدار ، كان يملك نصف العالم ويهدد النصف الآخر ، ثم زهد فى ذلك كله ، وهذا هو التصوف الصحيح ، تصوف القادرين لا تصوف العاجزين .

وأخرى تتلألأ بأخلاق صلاح الدين الصوفية .

« لما خرج عماد الدين الى صلاح الدين ، وقد عمل له دعوة احتفل فيها به ، فبينما هم فى سرور ، اذ جاء انسان فأسر الى صلاح الدين بموت أخيه ، فلم يظهر هلعا ولا جزعا ، وأمر بتجهيزه سرا . ولم يعلم عماد الدين ومن معه فى الدعوة ، واحتمل الحزن وحده ، لئلا ينكد ما هم فيه . وكان هذا من الصبر الجميل » .

ومن يقدر على هذا الا من كان قلبه أسس على التصوف ؟.

واليك جملة من أخلاقه ، التى تفيض بالصوفية ، كما رواها العلامة ابن كثير فى البداية والنهاية .

« .. كان متقللا فى ملبسه ومأكله ، ومركبه ، وكان لا يلبس الا القطن والكتان والصوف ، ولا يعرف أنه تخطى الى مكروه ، ولا سيما بعد أن أنعم الله عليه بالملك . بل كان همه الأكبر ، ومقصده الأعظم نصرة الاسلام ، وكسر أعدائه اللئام . وكان مواظبا على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعة . يقال انه لم تفته الجماعة فى صلاة قبل وفاته بدهر طويل . حتى ولا فى مرض موته . وكان يحب سماع القرآن والحديث والعلم . ويواظب على سماع الحديث ، حتى أنه يسمع فى بعض مصافه جزء وهو بين الصفين . وكان رقيق القلب ، سريع الدمعة عند سماع الحديث . وكان سخيا حييا ضحوك الوجه كثير البشر ، لا يتضجر من خير يفعله ، شديد المصابرة على الخيرات والطاعات » .

والآن ... هل كان صلاح الدين الأيوبى صوفيا ؟

نعم وانه لمن أئمة التصوف وأعلامه ؟

محمود شلبى

حسان شاعر الرسول

للاستاذ الشاعر محمد هارون الحلو

هجوت محمدا ، فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى ووالده ، وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء
اتهجوه ، ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

بمثل هذا الوفاء ، والافتداء ، والاخلاص لله ورسوله ، كان حسان بن ثابت الشاعر يشد من أزر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينصره ويدفع عنه ، ويذود عن حوزة الاسلام .

وكان الرسول عليه السلام يستمع اليه ويستنشده ويقول له :

« قل ، وروح القدس يؤيدك » ، وقد دخل حسان فى الاسلام على اثر الهجرة وهو فى الستين من عمره ، وقد ذكر الرواة ان حسان عمر الى المائة والعشرين عاما ، فكأنه عاش فى الاسلام ستين سنة أخرى ، كما عمر أبوه وجده من قبله ، بل وجد أبيه فكل منهم قد مات عن مائة وعشرين سنة ، ولا يعرف فى العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد ، وعمروا على هذا النحو كما عمر حسان ، وآباؤه .

وقد اتصل فى حياته الأولى بالغساسنة ووفد عليهم ، ومدحهم وأجروا عليه العطايا ، وأغدقوا عليه النعم ، وكانت له الحظوة عند النعمان الثالث المعروف (بأبى قابوس) .

واذ أشرق نور الاسلام ، وهاجر سيد المرسلين الى المدينة فى نصرة دين الله ونصرة الأنصار ، كان لسان حسان أشد على الكافرين المعاندين من وقع النبل ، وكانت له منزلة يزهى بها لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ناله من شرف الدفاع عن دين الله ، وقد أضفت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتشجيعه لحسان ، وتوجيهه اياه ، أضفت على الشاعر

جلالا واحتراما ، فسمت مرتبته ، وكانت له المنزلة بين قومه وعشيرته ، وصحبه .

ولقد فضل حسان الشعراء كما تروى « كتب الأغانى » بثلاث : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الاسلام ، وكان حسان أشعر أهل يثرب .

واذا كان عهده فى قومه قد تقادم قبل الاسلام ، وانه أوفى على الستين من عمره ، وهو فى الجاهلية الجهلاء ، فقد كان شاعرا فحلا يدرك ما يدركه الشعراء من احساسات عليا ، وارهاصات ، واذ يذكر هو نفسه انه وهو غلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان شهد ذات غداة يهوديا بيثرب يصرخ فى قومه وينادیهم : يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا اليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذى يولد به فى هذه الليلة .

فلعله بعد ان استوى عوده ، كان مهيأ النفس والقلب للدين الجديد ومن ثم فقد أسلم عقب الهجرة ، ودرأ بلسانه ، ما درأ عن الاسلام ونبيه الكريم .

وللشاعر خصائص وسمات كانت تجعله معدا لهذا النوع من الدفاع والذود .

ففى هيئته وسمته اختار لنفسه ان يتشبه بالأسد الوالغ فى الدم سأله ابنه عبد الرحمن يوما ، وقد رآه لا يخضب بالحناء سائر لحيته ، وانما يخضب شاربه ، وشعرات تحت الشفه السفلى وفوق الذقن وتعرف (بالعنفقة) دون سواها .

سأله فى ذلك ، لم تفعل هذا يا أبت فقال : « لأكون كأنى أسد والغ فى دم » وهو مظهر المقاتل المتوثب . وفى تلك الصورة ما لا يخفى على القارئ الفطن من صولة ورهبة .

وكان الشاعر يدل بمنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزهى بها فقد جاء الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وهو فى نفر من صحبه وقال له : انشدك الله يا أبا هريرة ، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أجب

عنى » ثم يقول : اللهم أيده بروح القدس ؟ فقال أبو هريرة : اللهم نعم وكان يهجو الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان وعمرو بن العاص فقام حسان يدافعهم ويهجوهم ويدفع قاله السوء والكذب منهم عن رسول الله ، وحين قال له الرسول عليه السلام . كيف تهجوهم وأنا فيهم ؟ قال حسان : انى أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له الرسول الكريم : اذهب الى أبى بكر فانه أعلم بأنساب القوم منك وكان يأخذ من أبى بكر تاريخ القوم ومنازل آبائهم ليرد عليهم سبابهم وسفههم بأشد منه . وكان حسان فى طليعة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت عبد الله بن رواحه ، فقال : وأحسن وأمرت كعب بن مالك ، فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى ، واشتفى ، وعن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت الشاعر : « ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ولقد وقف حسان يحمى أعراض المسلمين عام الأحزاب حين رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وحين وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم وهم سبعون أو ثمانون جاءوا ليحاجوه وأقام صلوات الله عليه لحسان منبرا ، وأجلسه عليه وقال : « ان الله ليؤيد حسان بروح القدس ما كافح عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، ووقف شاعرهم الزبرقان بن بدر ينشد قصيدته المشهورة :

نحن الملوك فلا حى يقاربنا ... منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

فقال حسان :

ان الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله ، وبالأمر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يفرحون اذا نالوا عدوهم ... وان أصيبوا فلا خور ولا جزع

الى ان يقول :

أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... اذا تفرقت الأهواء والشيع

ويقول الاقرع بن حابس وكان فى الوفد : (ان هذا الشاعر لمؤتى له) أى ميسر ومسهل له فى القول . وان شاعر محمد لأشعر من شاعرنا . وما زالوا الى أن أسلموا وأقاموا عند النبى صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقهون فى الدين . وهم يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم « اللهم انه سيد العرب » .

أما موقف الفخر لحسان فيوم أنشد يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم فى قصيدته :

فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا أشهد معك .

شهدت باذن الله أن محمدا رسول الذى فوق السموات من عل

وفى فتح مكة ينشد قصيدته التى يعجز فيها ويبدع بقوله :

لنا فى كل يوم من معد قتال ، أو سباب ، أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق ان وقع البلاء
شهدت به وقومى صدقوه فقلتم ما نجيب ، وما نشاء
وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

الى ان يقول :

لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

وفى يوم أحد يرد على ابن الزبعرى اذ يقول الأخير :

أبلغا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا العلل

يرد عليه حسان بقوله :

ذهبت بابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
نضع الخطى فى أكتافكم حيث يهوى عللا بعد نهل
برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله ، وتصديق الرسل
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدام بطل

وللشاعر موقف كريم يرثى فيه بطلا مغوارا جسورا من شهداء المسلمين وصحاب النبى ، ألا انه حمزة سيد الشهداء .

قدمت امامة ابنة حمزة الى المدينة تسأل عن قبر أبيها فحياها الشاعر تحية تكريم لأبيها ورثاه بالأبيات :

فان أباك الخير حمزة فاعلمى .. وزير رسول الله خير وزير

دعاه اله الحق ذو العرش دعوة الى جنة يرضى بها وسرور

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا ولا بلين فى محضرى ومسيرى

على أسد الله الذى كان مدرها يذود عن الاسلام كل كفور

وسيرة شاعرنا موصولة بالجهاد والكفاح تنفح طيبا ، وتنتشر عبقا . وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد هارون الحلو
ادارة الشئون العامة بوزارة التربية والتعليم

* * *

بين الفقه والتصوف

قال العلامة أبو الفرج بن الجوزى .. فى كتابه صيد الخاصر : « رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث ، لا يكاد يكفى فى صلاح الدين الا أن يمزج بالرقائق ، والنظر فى سير السلف الصالح ، فأما مجرد العلم بالحلال والحرام ، فليس له كبير عمل فى رقة القلب ، وانما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث ، وأخبار السلف الصالحين وأذواق أهل التصوف » .

من اسرار الكون والخلق :

الفلك والقرآن

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

الكون فى نظر العلم حدث من الأحداث ، بدأ بفراغ لانهائى أخذ ينتشر فيه بخفة ولأول مرة منذ أكثر من ٥ آلاف مليون سنة الغاز الكونى ، وهو الايدروجين ، ثم تكدس هذا الغاز نسبيا بفعل الدوامات فى حجوم هائلة هى السدم ، كما تكدس بدرجات أكبر داخل السدم فى مراكز شتى هى النجوم والشموس التى بنيت منها المجرات ، ثم تفجر بعض النجوم الى كواكب ومنها الارض .

ولقد سجلت الحوادث الكونية التى توالت منذ بدء العالم بين طياته كما يسجل الفيلم تفاصيل أى رواية سينمائية ، وما زالت الحوادث تمر تباعا والمناظر تتغير وتتبدل ... وما زالت قصة الكون مستمرة . ولم يكن من مخلوق على الأرض ليدرك هذا كله ويلحظه ويستوعبه سوى الانسان الذى منح الوعى والعقل ، والذى تعلم واستخدم العلم فى تتبع هذه القصة وفى استعراض فصولها منذ بدأت معاول الخلق ، أو منذ بدأ تسجيل الفيلم . (وعلم آدم الأسماء كلها) .

ولقد تحدثت الكتب السماوية أيضا عن بعض أجزاء هذه القصة الخالدة ولخصتها لنا حتى النهاية ، وكان طبيعيا ان توجد هوة عميقة بين العلم المتطور بالالفاظ والايمان ، وبتقدم العلم أخذت هذه الهوة فى التلاشى ، الا انها لا تزال توجد فى مخيلات الكثيرين من غير المؤمنين بالعلم أو غير المؤمنين بالدين . ولقد شهد التاريخ وهو لا يزال يشهد خصاما وتفرقة بين رجال

العلم ورجال الدين . ولست أعتقد ان خصاما كهذا تنادى به الأديان السماوية أو تحث عليه ، فهذا هو الاسلام حض على التفكير فى أسرار السموات والأرض ، ودعا الى ادراك حقيقة الوجود الذى لم يخلق باطلا .

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » . الى غير ذلك من الآيات التى تحتم علينا ان نقف على كل ما هو جديد فى العلم بدلا من ان نجمد ولا نحاول مسايرة الركب .

وأنا لا أدعى ان كل ما وصل اليه العلم يمثل الحقيقة المطلقة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فبعض النتائج العلمية فى تطور مستمر ، كما انى لا أدعى ان الكتب السماوية هى مراجع علمية بالمعنى المعروف ، ولكنها تحتوى ولا شك على قدر من القصص والتشبيهات العلمية التى تناول أغلبها النشأة الأولى وقصة السموات والأرض ، والتى تستعرض أو تلفت أنظارنا الى ما أمامنا من ظواهر كونية نلمسها تدل على أيادى الله وأساليبه فى الخلق ، ثم هى تحدثنا عن علة وجودنا . « وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون » .

ويقول فريق من الدينيين « أن الله تعالى خلق الدنيا من نور محمد » ويصفون كيف ان محمدا (أو نور محمد) كان يسبح حول العرش قبل خلق الدنيا ، أما أنا فأرى ان مثل هذا القول انما يرمز الى ان الله تعالى سبق فى علمه أن من ذرية البشر الذين سيرثون الأرض والذين سيرتكبون الخطايا ويفسدون ويسفكون الدماء ، سيجىء رجل لن يخطىء قط ولن يغفل عن الذكر ما دام حيا ، ولهذا استحق الجنس كله ان يوجد من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ومن تمثل به من السابقين واللاحقين . ولعل فى ذلك شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم اسمى مما يصوره الدينيون . وقد تكون تلك الأسباب هى حقا علة وجودنا وخلقنا ، والحق اننا اذا أردنا ان نجعل من الكون وقصته طريق معرفة فكرية نقبلها ، أو موضع ايمان

ومشاعر انسانية وروحية نرتاح اليهـــا ، نجد ان الكون مظهر من مظاهر الألوهية ، وانه انما يوصلنا الى معرفة الله تعالى ، وان الله وحده هو الذى يعطى الأشياء معناها ، فهو الذى يكتب ويخرج ويتم قصـــة الكون . فاذا أردت الحقيقة ، واذا أردت ان تستمتع بالمعرفة وان يستقر فكرك ويرتاح بالك فلتتصل بالله لترى جانبا من هـذا كله ، أو لتراه كاملا ، والا فانك لن ترى شيئا .

« أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » ؟

ونحن عندما نحاول ان نجابه العلم الطبيعى بهذا السؤال : لماذا خلقنا ؟ نجده يعجز عن الاجابة ويقف عند حد تصوير الكون فى صورة لا معنى لها ولا هدف . والحق ان وظيفة العلم الطبيعى انما تقتصر على سرد الحـوادث الكونية وتفسير الظواهر الطبيعية ووظائف الأعضاء الحية ، والأساس فى كل هذ االتجربة فى المعامل والقياس الدقيق ، ومعلمنا الكون نفســـه منذ وجد ، وما سجل بين طياته من حوادث .

ولكن حتى بعد كل هذا الجهد ، هل النتائج العلمية التى نحصل عليهـا تكون جميعها فى حكم الأمور المطلقة التى لا يتطرق اليها الشك ؟ ان أكبر الأمور المسلم بها عندنا هى القوانين الرياضية ، ونحن نفترض فيها الكمال، خصوصا تلك التى تنصب على عدم الحركة (قوانين الستاتيكا) ، ولكن هذه القوانين لا معنى لها بغير قوانين الحركة (أو الديناميكا) التى لا تمثل الحقيقة المطلقة فى شيء ، بل هى تعبر عن أشياء بالنسبة لأشياء أخرى .

والذين لا يؤمنون بالعلة ويعتنقون مبادىء مثل مبدأ الصدفة لا يمكنهم حتى التسليم بأن أبسط العمليات الطبيعية الابتدائيـة التى تجرى فى الذرة وما دونها مثلا لا تخضع لمبـادىء معينة مثل قانون عدم فناء الطاقة ، رغم ان هذه العمليات أيضا تلعب فيها الصدفة دورها . نعم ان العلم يسلم بأن عمليات انطلاق الطاقة تجرى تارة بغير رابط وتخضع لحدود خاصـة تارة أخرى ! ولكن أليس من المنطق ان تكون سائر وسائل الطبيعة اما حرة طليقـــة أو خاضعة مقيدة على الدوام ؟ بحيث تكون تلك الحالات غير المحدودة أو غير المقيدة بقانون معين من ورائها سبب غير معروف لنا ؟ ونحن فريق البشر

الذين يؤمنون بأننا مخيرون لا مسيرون لا يلزم ان تقوم فكرتنا هذه أو تستند الى فكرة الصدفة وعدم التحديد فى عالم الطبيعة . فالرجل السليم منا يتصرف بحرية عندما يكون هذا التصرف صادرا عن وحيه المطلق المجرد من أى مؤثر أو ضغط خارجى ، مثل الخوف أو الجبر ، وهذا هو المعنى الحقيقى لكلمة مخير ، فهو لا يعدو حدود الحرية الشخصية ، ولكن ليست هناك أعمال بدون أسباب ، وليس معنى الحرية فى التصرف عدم وجود الأسباب الدافعة له .

ولقد كانت الأرض فى نظر الأقدمين هى مركز الكون ، وكانت الشمس عندهم بمثابة السراج الذى ينيرها ، وهى تغيب كل يوم طلبا للراحة . أما القمر والنجوم فقد رأوها حلية أو مصابيح معلقة فى كبد السماء . وبعد صراع مرير بين العلم ومحاربيه عرف الانسان ان الأرض هى التى تدور حول الشمس كتابع لها ، ثم لاحظ أغلب توابع الشمس وميزها ككرات هائلة من الصخور والمعادن غير الملتهبة وأخذ يرصدها ، خصوصا بعد استخدام التلسكوب منذ نحو ٣٠٠ سنة خلت ، الى ان تم كشف المجموعة كلها فى هذا القرن ، وهى عطارد - الزهرة - الأرض - المريخ - المشترى - زحل - يورانوس - نبتون - بلوتو ، وتدور هذه الكواكب حول مركزها الشمس التى تحتوى على نحو ٩٩٫٨٦٪ من مادة المجموعة بأسرها . وفى مجرتنا كغيرها من المجرات آلاف الملايين من الشموس والنجوم .

وما الشموس والنجوم الا غازات ملتهبة أو متوهجة ، ومن أهم أنواعها النجوم البراقة أو فوق البراقة ، وهى التى أتاحت لها الظروف بسبب سرعتها البطيئة نسبيا وسط تجمعات الغاز الكونى ان تجذب حولها أكداسا مكدسة من غاز الأيدروجين ، فعظمت حجومها ، وتفجرت فيها الغازات بوفرة وازداد لمعانها ، ثم خلفت وراءها حفرا عميقة أو ثقوبا كالأنفاق فى الفراغ مصداقا لقوله تعالى : «والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب» .

(البحث مستمر)

الوجودية الإسلامية والتصوف الحقيقي

للأستاذ ابراهيم محمد البطاوى

عنوان يبدو متناقضا للوهلة الأولى، ولكنى قصدت اليه قصدا ، فالوجوديون الذين نعرفهم سيماهم الضلال وشعارهم الاستباحة والتبجح ، واذا كان الدين هو الحياة حسب قانون رب الوجود ومنزل الدين الذى قال : «استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما (يحييكم) » فان نسبة هؤلاء اللادينيين الى الوجود خاطئة ، فبداية الكفر اعدام حرية الانسان فى الدنيا بالاستعباد للشهوة ونهايته اعدام لكل سعادة بشرية بعد هذه الدنيا ، فهى جديرة بأن تكون (عدمية) لا (وجودية) .

* * *

وانصافا للحق نقول انه ان كانت الوجودية الحديثة الملحدة عند هيديجر فيلسوف ألمانيا قد أدت الى الدمار النازى ، وعند سارتر فى فرنسا قد زادت من الدمار الخلقى ، نقول زادت ! فما كانت فرنسا فى يوم من الأيام ذات رفيع من الخلق جنسيا كان أم حربيا . فلقد وجدنا ومضات من الايمان تنبثق من وجوديين قدامى ومحدثين كالتى لمسناها عند كيركجورد الدانمركى فى القرن الماضى وكتلك التى تقاوم الحادية سارتر واضرابه فى نفس فرنسا على يد جبرائيل مارسيل فى القرن الحالى .

* * *

ومهما اختلف المنهجان فى الغاية ، فان وسيلتهما فى الاستدلال تكاد تكون واحدة ، وبعبارة أخرى نجد السلم يبدأ واحدا ثم يتفرع شعبا ودروبا ، وأول خطو السلم الوجودى التى يتلاقى فيها المؤمن بالكافر هى اتفاقهم على أن خلقة الانسان شىء غير حقيقة وجوده ، فالخلقة لمن خلقها تنسب وليس للانسان فهى ليست وجودا بالنسبة للمخلوق ، انما وجوده هو

ما يقوم به من فعل يؤكد حريته ووجوده ، فهو يوجد نفسه حين يؤدى فعلا يخرج به من حيز الامكان الى الواقع أو من حيز الجوهر الى الوجود الظاهر وبعبارة أخرى من حيز العدم الى الوجود ممتطيا فى تنفيذه لأفعاله سيارة عجيبة هى (الحرية) . الى هنا نجد أن هذه النظرة اسلامية على الرغم من حداثة المذهب الوجودى فى الغرب ، ولقد عبر خالق الوجود جل علاه عن هذا المعنى فى أكثر من موضع فى القرآن كما رأينا فى وصفه العاملين به أنهم (أحياء) أى (وجوديون) فهم الى الحياة أو الوجود ينسبون . وحين قال فى قانون آخر (ليس للانسان الا ما سعى) أى عمل فبالعمل والانتاج قام كل وجود حتى الجماد نفسه حين يتحرك وينتج يوصف بالوجود وحين لا ينتج الزرع والثمر عد ميتا معدوما « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » .

* * *

النقطة التى افترق فيها الكفر عن الايمان ، والوجود عن العدم والاسلام عن الوجودية الغربية اذن هى الفهم لمعنى الحرية ، فمعظم الوجوديين يجعلون امام الحرية وقائدها هو العاطفة والهوى فكأنهم فى الحقيقة لم يتحرروا الا من الحرية ، وهنا تتدخل الصوفية الاسلامية الحقة لتنقذ الانسان وتحرره من كل قيد أو هوى ، وتعتبر سجوده للعواطف شركا وكفرانا حتى لا يسود الانسان الا صالح الانسان وحتى يكون الانسان سيد نفسه وسيد هواه وسيد الأرض بأسرها . ولهذا جاء اللوم والتوبيخ الالهى لهذا الذى أهدر حريته واستعبد لهواه فعده مشركا بالله « أفرأيت من اتخذ الهه هواه ؟)

فالحرية ان كانت تلبية وخضوعا لأمر الهوى غير المشروع جرت الى الشقاء والدمار والحروب لأنها فى حقيقتها عبودية ، وأما ان كنت تستعمل حريتك فيما لا تضر نفسك أو غيرك أى تعمل بمقتضى القانون الالهى الذى يعرف ويدافع عن صالحك أكثر منك ، هنا فقط تكون قد تخلصت من اسارك وجميع قيودك ، وهنا فقط تكون هذا (الحر) .

والصوفية الحقيقية تسعى لتحرير الانسان من شهواته ونزواته بالتطبيق السليم لهذه الشريعة الكاملة السمحاء ولقد كان امام الصوفية أبو

حامد الغزالى أول من صاح يوم وصل الى هذه الحقيقة الوجودية أى يوم أن كمل تدينه فكملت وجوديته فقال قولته المشهورة :

قد كنت عبداً والهوى مالكى فعدت حرا والهوى خادمى

* * *

هنا تشعر بالسيادة الحقيقية وأن وجودك ينسب اليك أو ما يسميه ابن خلدون وأكثر الصوفية « يتم لك كما لك الذى هو لك منك وبك » فلا تخشى الا الله ، ولا تستحى أن تقول كلمة الحق أمام أعظم مخلوق أو ضده ان جانب الصواب ، ولا تقصر عن طالب الرزق والسير دائما نحو معالى الأمور « فاذا فرغت فانصب ، والى ربك فارغب » وتوجد غيرك بأن تساعده على التحرر الذى صرت اليه حتى يتكون المجتمع الحر الصحيح « كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » تأمر نفسك أولا وتنهاها ثم أهلك ثم صحابك ومن حولك وهكذا ، تدأب فى سيرك نحو الكمال الذى رسمه لك قانون الوجود العام وهو القرآن : توجده فى أفعالك فتوجد نفسك بوجوده فيك « اذا دعاكم لما يحييكم » ولذا كان سيد الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يوصى صديقه أبا بكر أن يدعو دائما ربه قائلا له « أن ترزقنى القرآن والعلم به ، واخلطه بلحمى ودمى ، وسمعى وبصرى، واستعمل به جسدى بحولك وقوتك ، فانه لا حول ولا قوة الا بك يا أرحم الراحمين » . هنا فقط تكون موحدا لربك بحق فتصبح صلاتك وتنجح خلوتك وتبتلك اليه ، على شرط ألا تشترى بدينك دنيا ، ولا تقبل عن تصوفك أو تدينك وطاعتك لربك أجرا والا هلكت وأهلكت (ألا لله الدين الخالص) فان فعلت قال الله : « اذن فأنت صوفى حقيقى . اذن فأنت مسلم حقيقى ما دمت موجودا للاسلام فى أفعالك . أى ما دمت وجوديا اسلاميا . اذن فأنت بحق موجود » .

ابراهيم محمد البطاوى

من قصص الصالحين

قال الفضل بن الربيع : كنت بمنزلى ذات يوم ، وقد خلعت ثيابى ، وتهيأت لمنامى ، فاذا بقرع شديد على بابى ، فقلت فى قلق من هذا ؟

فقال الطارق : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت مسرعا أتعثر فى خطوى ، فاذا بالرشيد ، قائما على بابى ، وفى وجهه تجهم حزين ، وهم دفين ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت الى أتيتك .

فقال : ويحك ، قد حاك فى نفسى شىء أطار النوم من عينى ، وأزعج وجدانى ، شىء لا يذهب به الا عالم تقى من زهادك ، فأنظر لى رجلا منهم أسأله .

فقلت : ها هنا سفيان بن عيينه ، فقال : امض بنا اليه ، فأتيناه فقرعت عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت الى أتيتك ، فقال : جد لنا ما جئنا اليك بشأنه ، فحادثه ساعة ، ثم قال له : عليك دين ؟ فقال : نعم ، فقال : يا عباس اقض دينه ، ثم انصرفنا ، فقال : ما أغنى عنى صاحبك شيئا ، فانظر لى رجلا أسأله ، فقلت : ها هنا الفضيل بن عياض .

فقال امض بنا اليه فأتيناه ، واذا هو قائم يصلى فى غرفته وهو يقرأ قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » .

فقال الرشيد : ان انتفعنا بشىء فبهذا ، فقرعت الباب فقال : من هذا ، فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : مالى ولأمير المؤمنين ، فقلت : سبحان الله أما عليك طاعته ؟ فقال : أو ليس قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف الرشيد كفى اليه ، فقال : أواه من كف ما ألينها ان

نجت من عذاب الله تعالى ، قال : فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام تقى ، من قلب تقى .

فقال : الرشيد ، خذ فيما جئناك له يرحمك الله ، قال : وفيما جئت ، وقد حملت على نفسك ذنوب الرعية التى سمتها هوانا ، وجميع من معك من بطانتك وولاتك تضاف ذنوبهم الى ذنوبك يوم الحساب ، فبك بغوا ، وبك جاروا ، وهم مع هذا أبغض الناس لك وأسرعهم فرارا منك يوم الحساب حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك جزءا من ذنب ما فعلوه ، ولكان أشدهم حبا لك ، أشدهم هربا منك ، ثم قال :

ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على ، فعد الخلافة بلاء ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له سالم بن عبد الله ، ان أردت النجاة غدا من عذاب الله ، فصم عن الدنيا ، وليكن افطارك فيها الموت .

وقال له محمد بن كعب : ان أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين عندك أبا ، وأوسطهم عندك أخا ، وأصغرهم عندك ابنا ، فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة ، ان أردت النجاة غدا من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ما تحبه لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت اذا شئت

وانى أقول لك يا هارون : انى أخاف عليك أشد الخوف يوما تزل فيه الأقدام ، فهل معك يرحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ، فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشى عليه .

قال الفضل ، فقلت : أرفق بأمير المؤمنين ! فقال : تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ؟

ثم أفاق هارون . فقال : زدنا رحمك الله . فقال له : يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا اليه ، فكتب اليه : يا أخى أذكرك بسهر أهل النار فى النار ، مع خلود الأبد وأياك أن ينصرف بك من عند الله عز

وجل فيكون آخر العهد بك انقطاع الرجاء ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود الى ولاية حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاء شديدا ، ثم قال له : زدني يرحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، جاء الى النبي فقال : يا رسول الله ، أمرني على امارة ، فقال له : يا عم ، ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل .

فبكى هارون بكاء شديدا ، وقال له : زدني يرحمك الله ، فقال : يا حسن الوجه ، أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فان استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل ، واياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « من أصبح لهم غاشا لم يشم رائحة الجنة » .

فبكى هارون بكاء شديدا ، ثم قال : هل عليك دين ؟ فقال : نعم ، دين لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي ان سألني ، والويل لي ان ناقشني ، والويل لي ان ألهم حجتي .

قال الرشيد : انما أعني دين العباد ، قال الفضيل : ان ربي لم يأمرني بهذا ، وقد قال الله عز وجل : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

فقال له الرشيد : هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك ، وتقو بها على عبادتك ، فقال : سبحان الله ! أنا أدلك على طريق النجاة ، وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ، ثم صمت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده ، فقال هارون : اذا دللتني على رجل ، فدلني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين اليوم .

ثم ان امرأة الفضل دخلت عليه وقد سمعت الحوار بينه وبين الرشيد فقالت ، يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به ما نحن فيه ؟!

فقال : انما مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه ، موتوا يا أهلى جوعا ، ولا تذبحوا فضيلا .

فلما سمع الرشيد ذلك ، قال : أدخل فعسى أن يقبلوا المال ، قال : فدخلنا ، فلم علم بنا الفضيل خرج وجلس على التراب على السطح ، فجاء هارون الرشيد فجلس الى جانبه ، فجعل يكلمه فلا يجيبه .

فبينما نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء ، فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة ، فانصرف يرحمك الله ، فانصرفنا .

عباد الله

أوحى الله الى موسى عليه السلام

يا موسى ان لى عبادا يحبونى وأحبهم وأن ناجونى أصغيت اليهم وان نادونى أقبلت عليهم ، وان أقبلوا على أدنيتهم . وان دنوا منى قربتهم وان ولونى واليتهم ، لم أجعل لقلوبهم راحة فى شىء الا فى ذكرى ، فذكرى لأسقامهم شفاء ، وعلى قلوبهم ضياء ، لا يستأنسون الا بى ، ولا يحطون رحال قلوبهم الا عندى .

من أسئلة القراء

يسر مجلة « الاسلام والتصوف » أن تظفر بثقة قرائها وتقديرهم ، فقد انهالت علينا منهم أسئلة عن مسائل فى التصوف خاصة ، وفى الاسلام عامة ، يطلبون عنها الرأى الصحيح ، والتوجيه الصادق .

والمجلة يسعدها دائما أن تفسح صدرها لكل مسترشد ، ولكل سؤال ، ففى طليعة رسالتها ، أن تبين للناس ، حقائق دينهم ، ومناهج سلوكهم ، وسنجيب ان شاء الله على الأسئلة بترتيب ورودها :

* * *

١ – أرسلل الينا الأستاذ مراد الطحاوى المحامى يقول :

« تحية لسيادتكم ، وتهنئة لمجلتكم ، التى نرجو ببزوغها خيرا كثيرا للدين والتصوف ، فى عصر طغت فيه المادية على الروحانية ، حتى أننا نجد أن الدين ضاق نطاقه فى ظواهر مادية ، كزيارة قبور الأولياء وتقبيل أماكنها ، وقراءة الفاتحة لهم ، والتبرك بهم ، وبآثارهم مع تقديم النذور اليهم ، مما نعتقد معه أن فى ذلك مخالفة للدين ، ولعلكم توضحون لنا فى مجلتكم موقف الاسلام من كل ذلك .. »

الجواب :

الأصل فى كل عمل من الأعمال هو النية ، كما ورد فى الحديث الصحيح « انما الأعمال بالنيات » وعلى هذا ، فمن يزور وليا من أولياء الله يقصد من زيارته ، الاحترام والاجلال للمعانى الدينية الرفيعة ، التى يمثلها هذا الولى ، كما يقصد العبرة والعظة بتذكر الموت ، وأن يدعو الله بقلب خاشع دعاء شرعيا ليس فيه قطيعة رحم ، ولا أذى لأحد من الناس ، فقصده وزيارته من الأعمال المبرورة المشكورة ، ولقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يكثر من زيارة « البقيع » حيث مقابر الشهداء ، ويكثر من الترحم عليهم والدعاء لهم .

وثبت عنه صلوات الله عليه أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها تذكر بالله » .

وأما تقديم النذور ، فان قصد بها الصدقة الجارية ، والتقرب الى الله فهو عمل مشروع والله سبحانه ، قد أمر عباده بأن يقدموا بين يدى نجواهم صدقة ، فقبل الدعاء والطلب من الله يستحب اخراج الصدقة لتكون مقدمة وضراعة بين يدى الدعاء ، وبين يدى الاجابة .

وليس من اللائق - مهما غلب المحب شوقه - أن يقبل حجرا أو جمادا فان أساس الاسلام هو التوحيد الخالص ، لله مالك الملك وحده ، لامعقب على أمره ولا راد لقضائه .

* * *

٢ - وتلقينا من الأستاذ فتحى عبد العزيز المحامى رسالة جاء فيها :

كان لصدور مجلتكم الغراء أثر كبير فى توجيه الصوفية الوجهة الصحيحة والطريق القويم ، وبذلك سدت فراغا كان ملموسا فى المصنفات التى صدرت منحرفة عن جادة الصواب فى فهم التصوف ورسالته .

اذ قرأت كتيبات وضعت عن بعض شيوخ الطرق فيها اتجاهات الى تأليه شيوخ الطرق ، واسباغ صفات ونعوت لا تكون الا للرسل والأنبياء مع انحراف خطير فى فهم الدين .. وانى لأتساءل هل مثل هذه الكتيبات ، تصلح لأن تكون دعوة صوفية ؟ ولماذا لا تتولى مشيخة الطرق الصوفية ، ولسان حالها المجلة ، توضيح الأسس التى يجب أن يسير عليها مؤلفو تلك الكتب ؟

الجواب :

التصوف رسالة روحية ، تستمد الهاماتها ومناهجها من الكتاب والسنة ، وهى رسالة تستهدف الكمال فى كل ناحية من نواحى نشاطها الدنيوى والأخروى ، رسالة تصعد أعمالها وحركاتها وخواطرها وأنفاسها الى الله سبحانه ، تنشد رضاه ، ولا ترى سواه .

ورجال التصوف قبل كل شىء ، رجال أدب مثالى ، وأخلاق قرآنية ، وتربية قلبية مبصرة ، ومن أخلاقهم الأصيلة ، انكار النفس ، والتواضع ، فالصوفى مثلا ، ينفر من كلمة « أنا » لأن فيها أنانية وذاتية .

ذلك أدب التصوف ، فمن حاد عنه ، فقد برىء من التصوف ، وبرىء التصوف منه ، والكتيبات التى يشير اليها الأستاذ ، أول من ينكرها ويبرىء منها الشيوخ الصادقون ، فهى كتيبات أنجبها الجهل بالاسلام والجهل بالتصوف ، ولا يحتمل التصوف وزرها ، ولا يرضى بانتسابها اليه .

ومشيخة الطرق الصوفية ، فى سبيلها الى تنقية التصوف من كل دخيل عليه ، سواء كان الدخيل ، انسانا ، أو فكرة ، أو عادة ، أو كتابا ، ومجلة الاسلام والتصوف ، كما ترى فى مقالاتها وكلماتها ومناهجها تحمل الرسالة وتؤدى الأمانة ، وتبين للناس الحق من الباطل ، « واما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

* * *

٣ - وأرسل الينا الأستاذ خليل ابراهيم الشاذلى . يقول :

« تطلق الجماهير على السيدة زينب رضى الله عنها ، لقب « رئيسة الديوان » وعلى السيد البدوى ، « باب النبى » فما سبب هذه التسمية وما نصيبها من الصحة » .

الجواب :

يقرر علم النفس ، أن الكلمات التى تتداولها الجماهير ، حتى تصبح من شعائرها ومصطلحاتها ، انما هى صدى لأحداث تاريخية ، وانفعالات وعواطف واحساسات ، تلاقت عليها الجماهير بوجدانها والهامها .

والسيدة زينب رضوان الله عليها ، أثبت لها التاريخ ، موقفا رائعا خالدا ، عامرا بالبطولة والفداء ، فى خلال مأساة كربلاء ، يوم أن استشهد الامام الحسين رضوان الله عليه ، واستشهد معه آل بيته الكرام ، رجالا وأطفالا ، فى قسوة وغلظة ووحشية ، تتضاءل حيالها كل مآسى التاريخ وفواجعه .

ووقفت السيدة رضوان الله عليها وحدها ، تدافع عن البقية الغالية الباقية من سلالة النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وتحمى حماهم وترعاهم ، وتتولى شئونهم ، وتدبر أمورهم ، وتعدهم لرسالتهم وقيادتهم ومكانتهم من الأمة الاسلامية .

وقد أثبت التاريخ ، أنه لولا موقف السيدة البطولى الرائع فى كربلاء ، وانقاذها لعلى بن الحسين من السيوف والرماح، ولولا موقفهـــا فى وجه يزيد بن معاوية ، حينما هم بقتل على ، لفنيت سلالة الحسين عليه السلام .

ثم تولت السيدة أضخم رسالة فى تاريخ البيوتات والأسر فقد ألهبت العـالم الاسلامى بكلماتها وخطبها ضـد الأمويين ، كما أثارت عواطفه لصالح الدعوة الهاشمية العلوية ، وحشدت القوى لتأييدها ، والدفاع عن حقوقها .

ومن هنا ، وبفضل هذه السيدة الجليلة ، كانت قضية آل البيت ، وكان تاريخهم المضىء العظيم ، ومن هنا أيضـــا كان اللقب العظيم الذى أضفته الجماهير على الســـيدة المجاهدة ، رئيسة الديوان ، أو رئيســـة القضية الكبرى ، وزعيمة البيت الكبير ، بيت النبوة وديوانها .

ولعل هذا اللقب قد انحرف فى أذهان الجماهير مع التسلسل التاريخى الى غير معناه ، واتجه وجهات شعبية خياليـــة ، بعدت به عن أصله ومنبعه ، ولكن التحقيق العلمى هو ما ذكرنا .

والسيد البدوى رضوان الله عليه ، قطب من كبار الأقطاب ، وامام من أعظم الأئمة الداعين الى الله ، والى سنة رسوله ومنهجه وهديه ، فهو بهذا المعنى ، باب من أبواب العلم ، وباب من أبواب التقوى ، وباب من أبواب الدعوة الاسلامية .

والشاعر العربى القديم يصف رسول الله صلوات الله عليه بقوله :

وأنت باب الله أى امـــرىء أتـ ـــاه من غير بابك لا يدخـــل

والرسول صلوات الله عليه يقول : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » فالتعبير فى الأسلوب العربى بكلمة « باب » يطلق على الداعية الى الله ، كما يطلق على العالم ، وعلى الامام .

ومن هنا كان تعبير الجماهير عن السيد البـــدوى بأنه باب النبى ، أى الباب الذى يؤدى الى العمل برسالة النبى ، أو الاقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام .

ذلك أدب التصوف ، فمن حاد عنه ، فقد برىء من التصوف ، وبرىء التصوف منه ، والكتيبات التى يشير اليها الأستاذ ، أول من ينكرها ويبرىء منها الشيوخ الصادقون ، فهى كتيبات أنجبها الجهل بالاسلام والجهل بالتصوف ، ولا يحتمل التصوف وزرها ، ولا يرضى بانتسابها اليه .

ومشيخة الطرق الصوفية ، فى سبيلها الى تنقية التصوف من كل دخيل عليه ، سواء كان الدخيل ، انسانا ، أو فكرة ، أو عادة ، أو كتابا ، ومجلة الاسلام والتصوف ، كما ترى فى مقالاتها وكلماتها ومناهجها تحمل الرسالة وتؤدى الأمانة ، وتبين للناس الحق من الباطل ، « واما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

* * *

٣ - وأرسل الينا الأستاذ خليل ابراهيم الشاذلى . يقول :

« تطلق الجماهير على السيدة زينب رضى الله عنها ، لقب « رئيسة الديوان » وعلى السيد البدوى ، « باب النبى » فما سبب هذه التسمية وما نصيبها من الصحة » .

الجواب :

يقرر علم النفس ، أن الكلمات التى تتداولها الجماهير ، حتى تصبح من شعائرها ومصطلحاتها ، انما هى صدى لأحداث تاريخية ، وانفعالات وعواطف واحساسات ، تلاقت عليها الجماهير بوجدانها والهامها .

والسيدة زينب رضوان الله عليها ، أثبت لها التاريخ ، موقفا رائعا خالدا ، عامرا بالبطولة والفداء ، فى خلال مأساة كربلاء ، يوم أن استشهد الامام الحسين رضوان الله عليه ، واستشهد معه آل بيته الكرام ، رجالا وأطفالا ، فى قسوة وغلظة ووحشية ، تتضاءل حيالها كل مآسى التاريخ وفواجعه .

ووقفت السيدة رضوان الله عليها وحدها ، تدافع عن البقية الغالية الباقية من سلالة النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وتحمى حماهم وترعاهم ، وتتولى شئونهم ، وتدبر أمورهم ، وتعدهم لرسالتهم وقيادتهم ومكانتهم من الأمة الاسلامية .

وقد أثبت التاريخ ، أنه لولا موقف السيدة البطولى الرائع فى كربلاء ، وانقاذها لعلى بن الحسين من السيوف والرماح، ولولا موقفهـــا فى وجه يزيد بن معاوية ، حينما هم بقتل على ، لفنيت سلالة الحسين عليه السلام .

ثم تولت السيدة أضخم رسالة فى تاريخ البيوتات والأسر فقد ألهبت العـالم الاسلامى بكلماتها وخطبها ضـد الأمويين ، كما أثارت عواطفـه لصالح الدعوة الهاشمية العلوية ، وحشدت القوى لتأييدها ، والدفاع عن حقوقها .

ومن هنا ، وبفضل هذه السيدة الجليلة ، كانت قضية آل البيت ، وكان تاريخهم المضىء العظيم ، ومن هنا أيضـــا كان اللقب العظيم الذى أضفته الجماهير على الســـيدة المجاهدة ، رئيسة الديوان ، أو رئيســـة القضية الكبرى ، وزعيمة البيت الكبير ، بيت النبوة وديوانها .

ولعل هذا اللقب قد انحرف فى أذهان الجماهير مع التسلسل التاريخى الى غير معناه ، واتجه وجهات شعبية خياليـــة ، بعدت به عن أصله ومنبعه ، ولكن التحقيق العلمى هو ما ذكرنا .

والسيد البدوى رضوان الله عليه ، قطب من كبار الأقطاب ، وامام من أعظم الأئمة الداعين الى الله ، والى سنة رسوله ومنهجه وهديه ، فهـو بهذا المعنى ، باب من أبواب العلم ، وباب من أبواب التقوى ، وباب من أبواب الدعوة الاسلامية .

والشاعر العربى القديم يصف رسول الله صلوات الله عليه بقوله :

وأنت باب الله أى امـــرىء أتـ ـاه من غير بابك لا يدخـــل

والرسول صلوات الله عليه يقول : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » فالتعبير فى الأسلوب العربى بكلمة « باب » يطلق على الداعية الى الله ، كما يطلق على العالم ، وعلى الامام .

ومن هنا كان تعبير الجماهير عن السيد البـــدوى بأنه باب النبى ، أى الباب الذى يؤدى الى العمل برسالة النبى ، أو الاقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام .

٤ - وأرسل الينا الأستاذ عادل الزغل المحامى . يقول :

« ترقبت مجلتكم بشغف ، وكانت عند حسن الظن بها ، منارا للدين والتصوف ، وحربا على البدع والمنكرات ، ولعلها سالكة هذا الدرب حتى يصل التصوف الى ما يليق به من مكانة واجلال .

وقد خطر لى أن أستفسر من سيادتكم عن بدعة طالما رددها بعض الصوفية فى أورادهم ، هى تلك النعوت التى يصفون بها النبى من أنه الروح الكلية التى صدرت عنها الأرواح . فهل يتفق هذا مع الدين ، وما موقف التصوف الحق من أمثال هذه الكلمات .. »

الجواب :

التصوف الاسلامى عمل وخلق وعبادة ، لا يعرف الجموح الفلسفى ، ولا التعقيد الفكرى .

ولقد دس خصوم التصوف عليه - للتضليل - آراء فلسفية جامحة مقتبسة من المذاهب والعقائد والنحل التى كانت تموج بها رقعة العالم الاسلامى ، قبل اشراق أنوار التوحيد عليه .

ومن هذا الدخيل المدسوس على التصوف فكرة وحدة الوجود التى تجعل الخالق والمخلوق وجودا واحدا ، وهى فكرة الحادية هندية قال عنها الامام الشعرانى ، انها أحط مرتبة من عبادة الأوثان .

ومن هذا الدخيل أيضا تلك الدعوة المقتبسة من الفلسفات الوثنية التى تقول بوجود روح كلية تصدر عنها الأرواح ، أو العقل الكلى الذى تصدر عنه العقول .

فقد نقلوا هذا المعنى الوثنى الذى يضاد التوحيد ، الى ما أسموه الروح المحمدية الكلية التى صدرت عنها جميع الأرواح .

وما قال القرآن هذا ، وما قال الرسول هذا ، وما ينبغى له فهو عبد الله ورسوله وخاتم النبيين ، وأكبر داع الى التوحيد النقى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

نقـــدم لك :

الطريقة الحامدية الشاذلية

السيد سلامة الراضى
مؤسس الطريقة الحامدية الشاذلية
للاستاذ سيف النصر محمد عشرى

هو السيد سلامة الراضى بن السيد حسن ســـلامة الراضى الحسينى الهاشمى ، يتصـــل نسبة الشريف بسيد المخلوقات صلى الله عليه وسلم ، وجـــده الدانى سـيدى العـــارف بالله « حامد الريدى » المقام مسجده وضريحه بمدينة المنيـــا ، ومن أسرته الكريمـــة الولى المقرب « الحاج ناصر » وضريحه عنـــد باب درب محجـــوب ببـــولاق مصر .

مؤسس الطريقة
السيد العارف بالله الشيخ سلامة الراضى

تحـــول آباؤه من الأراضى الحجازية الى الأراضى المصرية حيث اقتعدوا الشاطىء الايسر من نهر النيل فى قرية « ريده » من أعمال مديرية المنيا ، ثم مالبث أبواه أن انتقلا الى القاهرة ونزلا فى بيت مجاور لمسجد سيدى سعيد ببولاق .

ولد رضى الله عنه فى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٦٧ م بين أبوين حفيين رعياه أجمل رعاية ، وتعهداه أكرم تعهد ، حتى اذا تيقظت طفولته سلكاه فى مكتب الحى فحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة ، ودرس طائفة من العلوم العامة تعينه على الالتحاق بمدارس الدولة عند اكتمال سنه ، الا أن ماكان يدرس فى هذه المدارس لم يكن ليشبع رغبتـــه ، ولا ليلائم فطرته ، فعزفت نفسه عنه الى نوع آخر سكنت عنده نفسه ، واطمأنت اليه جوارحه ، ونضج فيه وعيه ، ذلك هو علم التصوف ، فانخـــرط فى صفوف السالكين ، وتربى فى حجور الاعلام الصوفيين ، فعب من مناهلهم ، وتشكل بآدابهم ومعارفهم .

وكان أجل شيوخه وألصقهم بقلبه سيدى الشيخ مرزوق العلامة المالكى، والحجة الثبت ، فحبب اليه الذكر والخلوة والصيام حتى صفت روحه ، وأشرقت شمسه ، ورقت بشريته ، ووضحت أمامه معالم الطريق ٠

على أن هذه المراتب التى وصل اليها لم تأته عفوا فما أكثر ما أحفى قدميه ، وأورم ركبتيه ، وأطال من سجوده ، فى رياضة شاقة عنيفة لايستطيع أن يقوم بها الا أولو العزم من الرجال ٠ اسمع منه اذ يخبر عن نفسه فيقول : -

« واعلم انى ذكرت الله كثيرا ، فمن أورادى أنى كنت أذكر « لا اله الا الله » فى الليلة الواحدة اثنى عشر ألف مرة ، وداومت على هذا الاسم « الله » فى الليلة الواحدة اثنى عشر ألف مرة ، ومكثت على ذلك الأعوام ثم كنت أذكر الله بالاسم المفرد (الله) فى كل ليلة ثلاثين ألف مرة وداومت على هذا الاسم ست سنين ٠ وكنت أصوم من السنة نحو ثلاثمائة يوم ، ومع الصيام أداوم على الرياضة غاليا فيها فلا آكل ما فيه روح ، ولا ماخرج من روح وأصلى الصبح بوضوء العشاء عدة من السنين ، وكنت لا أدع الوضوء ، فكل أحيانى أكون على طهارة وكنت لا أجالس أحدا من الناس الا القليل من أخوانى فى الله ، ومع هذا كنت أصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة نحو ساعتين ، فوق أنى كنت مصابا بداء البواسير أنزف الدم العبيط الذى يستمر الشهر والشهرين من الزمان حتى صرت نحيفا ضئيلا ضعيفا مصفر اللون كأنى نشرت من قبر فضلا عما كان يصادفنى من أهلى ومن الاصحاب وبقية الناس من العذل واللوم ، ومن الشماتة والتوبيخ ٠٠ كل هذا لم يثن عزمى عن التوجه الى الله تعالى ٠٠٠ انتهى

عظمت منة الله على عبيده اذ تطول عليهم بتسخير جلة من العلماء ، ونخبة من الاصفياء يقومون على تراث النبى صلى الله عليه وسلم أمناء عليه، أوفياء له ، فلا ينقضى زمن ويقبل زمن الا ومعه من الهواة هداة ، ومن الثغور مشكاة ، ولقد جاء الزمن بالسيد سلامة الراضى فجاء بالمجلى الذى لايشق له غبار ، والسند الذى لاتخبو له حجة ، فرسخ حب الله فى قلوب هزتها عواصف الفتن ، وطغت عليها رواسب المادة ٠

أكبر فى الشاذلية مبادئها ، وراقه فيها مشاربها فتذوقها ثم تذوقها ، وتحققها ثم تحققها فوجد فيها الغذاء الشهى ، والنبع الروى ، فرفع رايتها خفاقة فى عالم الاسلام والتصوف ، وصار أبو الحسن الشاذلى رضوان الله عليه مدده الفياض ، وقدوته الصالحة ، ومثاله الحى ، فلا غرو أن يعيد طريقته الى سالف مجدها نفاحة زاهرة فى العالمين ٠

شعر رضى الله عنه بأن الله قد اختصه بأمانة ، فلا بد من أن يؤديها على وجهها الاكمل ، لذلك أخذت رسالة الارشاد منه كل تفكير ، وشغلته عن كل شىء الا هذا الشىء الذى أفرغ له وقته فكان فى صدر النهار يسعى

لرزقه كموظف حتى اذا انتهى عمله اليومى أخذ مكانه من الارشاد ، فما يزال ينتقل بتلاميذه من زهرة الى زهرة ، ومن لون الى لون حتى يتصدع عمود الليل عن بسمة الصباح لا يستطيب لنفسه راحة ، وهل يستطيب راحة من نصب نفسه للهداية ، ووقف وقته للناس .

فاذا كانت عطلته الصيفية قضاها متنقلا بين القرى والدساكر ، والمدن والعواصم ، فى صعيد الارض ومنحدرها ، وبين شمال الوادى وجنوبه صابرا محتسبا لا يشكو ولا يتبرم ، بل يرى أن كل هذا قليل فى سبيل الله ، تافه فى جانب مرضاته حتى ذوى جسمه ، وغربت نضرته .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

ومما روض له الجامح ، وزلل له الشامس أنه كان فى شخصية موهوبة وروح قوى ، كما كان فى دراية يقصر دونها تطاول المتطاولين ، وادعاء المدعين .

الشيخ الحالى للطريقة
السيد ابراهيم سلامة الراضى

فقد نقله الله من العلوم والمعارف غذاء الأرواح وسكن القلوب فسار فى الناس سير المرشد الفاتح والهادى الناصح حتى استجابت له القلوب ودنا منه البعيد ينهل من بحر معارفه ، ويغترف من ينابيع قلبه طهورا يزيل الفاشية ، ونورا يرفع القذى ، وريا يذهب الشجى .

حدث أن بعض كبار الناس ممن ينخدع بأوهام الاستعلاء ، ويرى نفسه أكبر من أن ينطوى تحت أجنحة مشايخ الطرق ، وأعلى مرتبة وأغزر علما من أن يدين لهم بطاعة ، أو ينتظم فى مجالسهم كتلميذ ، كان يتعمد الالمام بمجلس الشيخ لا لدواعى رغبة ، أو لحسن استماع ، بل ليتلهى ساعة أو بعض ساعة بعلوم عفى عليها الدهر ، ومذاهب وقعت تحت تأثيرها عقول ساذجة ، فما هو الا وقت حتى يرى نفسه بين دوامات فى بحر عميق القاع ضارب الاثباج ، فهنا يستفيق من أحلام كانت تساوره فى نوم مؤرق ، وليل خادع الى يقظة عامرة من صباح فجر مشرق ، واذا ماهو عليه من علوم ومعارف طالما تطاول بها نجوم السماء زهوا قد تلاشت وتبخرت من حرارة هذا القبس الالهى المشع من قلب هذا الشيخ المتمكن فلا يسعه الا أن يبسط اليه يده مبايعا ، كيف لا والشيخ قد تعمق الصوفية

فاستخرج لآلئها من طيات صدفاتها ، وكشف اكسيرها من خلف خبائها ، فظهرت فى جمالها وبهائها نورا يجلو الرين ، وينير القلوب .

تبطن الحقيقة فعرف سرها ، وكشف غورها ، فرأى الآثار بنور المؤثر ، والمخلوق من طريق الخالق والفانى من حقيقة الباقى ، وأن كل ماخلا الله باطل .

درس القرآن الكريم فوقف على حقيقته النورانية وسره الروحى فعرف لكل آية سحرها ، ولكل زهرة عطرها فقدس الله تقديس العارف به ، المتحقق منه ، المشاهد له .

عرف أن القلب مضغة ان صلحت صلح الجسد كله ، وان فسدت فسد الجسد كله فشخص أمراضه ، ووصف له العلاج والدواء .

عرف « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » فوقفه على حقيقته ، وأصل عبوديته ، وأنه فقير وان ملك الدنيا ، ضعيف وان ظاهرته الحياة ، محتاج وان كفته الايام المئونة والمعونة ، ثم رسم له طريق النجاة ، وكيف يستطيع أن يستغنى عن استغنائه ليخلص من طغيانه .

مشى وراء التائه المتخبط فى ديجور الضلالة فرفع له منارة هادية يخطف عليها قبس منير .

جرى قلبه بفيوضات ربانية ، وأسرار علوية انتظمت سبعة وعشرين مصنفا بين منثور ومنظوم تتداولها أيادى تلاميذه فى جدة وحيوية وازدهار

فهاهى ذى منشورة فى مكتبة السجادة فارتع فى أفيائها ، وتنسم عبيرها ، وأطعم نفسك من ثمارها فهى أجمل فى العين ، وأطرب فى السمع ، وأعذب فى الذوق من ضحكات الازهار ، ونور النوار ، ونفح الطيب ، انها مسطورات حامدية ، ونفحات صوفية ، وأفواف زكية يجرى اكسيرها فى الروح فيصفو وسرها فى الوجدان فيتفاعل تريك ربك فى الشمس وضحاها،والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها . خالية من التعقيد ، والمعنى الملبس . فكتابته رضى الله عنه لها مسحة خاصة ، ونهج مميز ، يضع الشيء فى محله ، ويزن الكلمة بميزان دقيق قبل أن يضعها بين كلمات الجملة فاذا الجملة مستريحة معنى وغاية حتى اذا نقلت الى السمع استقرت فى القلب بمعناها الذى أراده ، ومغزاها الذى هدف اليه .

ومما هو جدير بالملاحظة ان الشيخ لم يؤخذ عليه قول يعطى معنى غير مألوف ، أو فكرة تحتاج الى الحيلة فى تفهمها وترسمها ، بل ان له من اعتداله وقصده مايغنى العقل عن الكد والارهاق ، ولقد أثارها حربا شعواء على بعض الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود ، أو يقولون بغير ماتواطأ عليه المسلمون .

فاذا استعرضت آراءه فى مختلف كتاباته لم تجد الا مسلكا مستقيما ، وقولا سديدا ، معناه فى مبناه لايزيد .

وهاك بعض ماجرى به قلمه :

« أحبابى : اذا فعلتم الكمال ظهرت الحكمة عنكم ذاتية ، واذا نطقتم بالكمال وفعلتموه كانت حكمتكم كمالية ، واذا نطقتم بالكمال ولم تفعلوه كانت حكمتكم عقيمة لسانية .

« أحبابى : القلوب مفتوحة الى ربكم تشاهد الانوار القدسية ، فاذا حلت فيها ظلمة من أدناس الشهوات حجبت عن الانوار وغرقت فى ظلمات الشباطين .

أحبابى : ليس القرب الى سيدكم بالمكان ، وانما هو بالقلب ، فاذاصفت قلوبكم وجدتم سيدكم .

أحبابى : اذا انغمست الروح فى أنوار الملكوت طهرت من كدورات النفس ، وذهبت الدعوى فظهر الانكسار على الجسم .

أحبابى : من شهد الافعال تجلى عليه الفعال ، ومن تجلى عليه الفعال سطعت عليه أنوار الصفات ومن اضمحل فى أنوار الصفات صار محوه ثباتا ، وموته حياة ، وفناؤه بقاء ، وذله عزا ، وفقره كمالا .

أحبابى : اذا وجدتم أحدا ثقيلا على أرواحكم فلاتبادروا بتنقيصه والتباعد عنه فقد يكون العيب منكم لامنه وأنتم لاتشعرون ، فانظروا بالانصاف لعلكم تجدونه على كمال لاترضاه نفوسكم ، فلذلك كان ثقيلا عليكم لانه لم يكن على شاكلتكم .

وهاك بعض توجهاته رضى الله عنه .

اللهم انا نتوسل اليك بنوره السارى (١) فى الوجود أن تمن علينا بالقرب والوصول بمحض الكرم والجود وأن تحيى قلوبنا بنور حياة قلبه الواسع ، وأن تشرح صدورنا بنور صدره الجامع ، وتطهر نفوسنا بطهارة نفسه الزكية ، وتعلمنا بأنوار علومه الفياضة اللدنية .

اللهم أسر سرائره فينا بلوامع أنوارك وهدايتك ، وغيبنا عنا فى حق حقيقته بفضلك ورحمتك فيكون هو الحى القيوم فينا بقيومتك السرمدية فنعيش بروحه عيش الحياة الابدية .

اللهم انا نعوذ بك وبنبيك من القطيعة والهجران ، ومن الابعاد بعد التقريب فانه من أعظم الحرمان ، وأجرنا من الخواطر النفسانية ، واحفظنا من الشهوات الشيطانية ، وطهرنا من قاذورات البشرية ، وصفنا بصفاء

المحبة الصديقية من صدأ الغفلة والجهل حتى تضمحل رسومنا بفناء الانانية

بهذا حارب شياطين النفوس فغلبها ، وطواغيت الشرور فهزمها ، فكم من مصفد باغلال الرذيلة قد حل وثاقه ، وسائر فى طريق الغواية أخذ عليه طريقه ، وراكب متن الشيطان خطفه من سرج الشيطان ، ويائس من رحمة الله أمنه من غضب الله ، وناكص على عقبيه هداه الصراط المستقيم ٠

فلا غرابة أن يتعالم به القريب والبعيد ، ويجرى اسمه على لسان الصغير والكبير ، فهرع اليه الناس من كل فج فعثروا على كنز بحثوا عنه طويلا حتى وجدوه ، وسر كان مطمورا فى جوانح الغيب فثقفوه ، وتحوطوا به تحوط النحل على الخلية فشربوا من دنانه عسلا شهيا ٠

كانوا طليعة جماعات فما زالت تكبر وتكبر ، وتفيض وتفيض الى أن أخذ عددها ما بين المشرق والمغرب ٠

فمن أقصى البلاد الى أقصاها تتلاطم أمواج حامدية ، وتخفق أعلام شاذلية شرقت تعاليمه وغربت ، وأشرقت مبادئه وأزهرت فاعترف السائحون فى بحور علومه بأن نهاية المسالك تنتهى عند مرتبة هذا القطب الكبير ، والاستاذ الجليل المدثر بأنوار ربه ، المزمل بمنح الكريم الوهاب ٠

ولئن كان قد رفع الى الرفيق الاعلى ففى خليفته السيد ابراهيم سلامة شيخ مشايخ الطريقة ، وعضو المجلس الصوفى الاعلى الغناء كل الغناء ، والكفاء كل الكفاء ، فقد تسلم الامانة كريمة ، ورعاها كريمة لم يتغير فيها جدة ، ولم ينصل منها لون ، فالنسيم العليل مازال يسرى ، والزهر الفياح مازال يتفح ، والمجلس مازال عامرا ، والخير مازال غامرا

---

(١) يقصد الرسول صلوات الله عليه ٠

حول التصوف السنى وتصوف الوحدة

للاستاذ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى
مدرس الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

تفضلت مجلة الاسلام والتصوف بالتعليق على مقالى السابق بها ، وجاء فى هذا التعليق أنها تختلف معى فى موضوع تقسيم التصوف الى تصوف سنى وتصوف وحدة ، وتقرر أن التصوف الاسلامى على تعدد معارفه والهاماته انما يستمد وجوده وعلومه وآدابه من القرآن والسنة ، وأن كل من ابتعد عن هذا النبع الربانى فقد ابتعد عن التصوف .

والواقع أن تقسيم التصوف الى تصوف سنى وتصوف وحدة ليس من جانبنا ، وانما وقع هذا التقسيم من جانب بعض مؤرخى التصوف والمعنيين بدراسته من ناحية مذاهبه النظرية .

ولا أدل على ذلك من أننى أوردت فى المقال المشار اليه نصا للسيوطى فى هذا الشأن ، يفرق فيه بين التصوف الذى يعمد أصحابه الى مزجه بموضوعات الفلسفة (بما تنطوى عليه من مباحث الوحدة، ومباحث الوجود، والارواح وقدمها ، والهيولى .. الخ) ويسميه بالتصوف على طريقة الفلاسفة ، والتصوف الذى يعنى أصحابه بالجانب التربوى الخلقى أكثر من العناية بالخوض فى مباحث الوجود ، وهو التصوف الذى يمثله الشاذلى ومدرسته ، ومن قبله الامام الغزالى ومدرسته ، ويسميه بعض مؤرخى التصوف بالتصوف السنى ، اما لان أصحابه كانوا من أهل السنة ، أو لانهم كانوا يتقيدون فيه بظاهر الكتاب والسنة . وليس فى هذا التقسيم ـ من الناحية العلمية ـ مايتضمن الحط من شأن الصوفية الذين مزجوا أذواقهم الروحية بأنظار الفلسفة ، أو الذين كانت لهم أحوال وجد خاصة جعلتهم يعبرون **عن حقائق التوحيد** بطريقة رمزية لايفهمها الا هم أو من وصل الى مرتبتهم الروحية فى السلوك ، كالحلاج والبسطامى وابن عربى وابن الفارض ومن اليهم من كبار الصوفية .

هذا وقد ذكرت فى هامش المقال ذاته دفاعا عن مذاهب أولئك الصوفية مانصه : « الواقع أن الهجوم على مذاهب هؤلاء الصوفية محفوف بالمخاطر، ولا يصح فى رأينا أن نهاجم أصحابها ما لم نصل الى ماوصلوا اليه ، وما لم نتذوق ماتذوقوه ، فعلومهم ذوق خالص يحصل بالمجاهدة ، وعرفان خاص يحصل بالمشاهدة ، والمهاجمون لهم يصطنعون العقل ومناهجه فى نقدهم ، وهو خطأ منهجى منهم »

ولزيادة الايضاح نقول : ان بعض الصوفية الذين كان لهم نصيب

واثر من دراسة الفلسفة والمعرفة بمناهجها واصطلاحاتها قد مزجوا التصوف بموضوعات الفلسفة ، وخرجوا لنا بنظريات هي مزيج من الذوق والفلسفة ولعل أبرز هؤلاء ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والصدر القونوى وعفيف الدين التلمساني ، ولما كانت كتبهم صعبة الفهم لما تضمنته من اصطلاحات خاصة ، كثر الهجوم عليهم من جانب الفقهاء أهل الظاهر الذين ليسوا بصوفية والذين لا يصطنعون منهج التأويل في نفس الوقت ، فحكموا عليهم بفساد العقيدة ، وقد ذكر عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أنه وان كان يقر طريقة الصوفية ، الا أنه لايتكلف لامثال أولئك الصوفية تأويلا في عباراتهم ، وهذا هو السبب الرئيسي الذى من أجله أخطأ الوهابيون ومن قبلهم ابن تيمية في حكمهم على أولئك الصوفية وفي أنهم نسبوا اليهم القول بالوحدة المادية أو بالحلول الحسى أو بما شابه ذلك من نظريات تخالف الاسلام ، ولو تدبروا عباراتهم بعين الانصاف لوجدوها متمشية مع الكتاب والسنة ، ومنطوية على عرفان بالله لاتشوبه شائبة .

أما شرح تلك المذاهب النظرية لاولئك الصوفية والملاءمة بينها وبين الكتاب والسنة فأمر يطول شرحه وبيانه ، ونكتفى الآن بهذا الايضاح الموجز الذى نرجو أن يكون فيه غناء للقارى الكريم .

المجلة :

يسرنا أن نلتقى مع الأستاذ « التفتازانى » على محجة بيضاء من الفهم المبين ، والمنهج العلمى المضيء ، لرسالة التصوف ، باعتبارها ، جوهر الاسلام وروحه ، وأفقه العالى ، وكماله الخلقى .

ويسعدنا أن ينتهى بنا الحوار الى أن يقول : « .. أخطأ الوهابيون ومن قبلهم ابن تيمية فى حكمهم على أولئك الصوفية ، وفى أنهم نسبوا اليهم القول بالوحدة المادية ، أو بالحلول الحسى ، أو بما شابه ذلك من نظريات تخالف الاسلام ، ولو تدبروا عباراتهم بعين الانصاف ، لوجدوها متمشية مع الكتاب والسنة ، ومنطوية على عرفان بالله لا تشوبه شائبة » .

ورجال التصوف ، وهم أهل ذوق ووجدان ، ومناجاة والهام ، لهم أسلوبهم وعباراتهم ومصطلحاتهم ، كما لكل علم من العلوم ، أسلوبه ، وعباراته ، ومصطلحاته ، فالمتحدث عنهم لابد له من الاحاطة ، بأسلوبهم ومصطلحاتهم وذوقهم حتى يدرك أفق كلماتهم ، وكما يقول الامام السيوطى « ان وقع فى كلامهم الوحدة ، فمرادهم به التوحيد ، وانفراد الله بالوجود ، ولوازم الوجود ، لا ذلك الذى يرده أولئك - أى خصوم الصوفية » .

منبر المجلة

توالت علينا رسائل الكتاب والقراء ، عامرة بالكلم الطيب ، فياضة بالحب والتقدير ، مضيئة بالمعانى الجليلة .

ومجلة الاسلام والتصوف ، تفسح صدرها دائما لأصدقائها وقرائها ، وترحب بكلماتهم وآرائهم ، وتجعل من هذا الباب منبرا لهم :

تحضير الأرواح :

تلقينا من الكاتب الصوفى الأستاذ محمود رمزى نظيم ، كلمة حول « تحضير الأرواح » جاء فيها ، بعد عرض بديع للتصوف ، ومعانيه الباطنية ، وأنه وحده الباب الأكبر ، الموصل للفتوحات الربانية ،والكشوف الروحية :

« ... وليس هذا مقام الافاضة فى معانى التصوف ، وانما الذى أقصد اليه ، هو اهتمام بعض اخواننا من متصوفة العصر ، بما يسمونه « تحضير الأرواح » ، وهو عمل فارغ معطل للصوفى المريد الصادق عن الطريق المستقيم ، الذى يؤدى الى الحصول والوصول بالذكر والاخلاص ، وتصفية النفس ، والى المقام الذى تنكشف فيه الحقائق لبصيرته بدون أن يطلبها ، وتفتح له كنوز المعرفة التى لم يكن يعرفها الهاما من عند الله ببركة الذكر والاخلاص فى العبادة لله .

والروح تلك اللطيفة الربانية ، السامية السميعة المبصرة المتكلمة الخالدة فى عالمها بالبرزخ لا تعود أبدا الى سجن الجسد الضيق والحلول فى جسد أثقلته الذنوب وأظلمته الشهوات والأطماع . لا تعود الا يوم البعث والنشور

ورب سائل يقول فمن الذى يحضر اذاً ؟ والجواب : أن لكل مخلوق قرين من الجن يولد معه ويلازمه فى حياته ، ويبقى بعد مماته فاذا أراد أولئك الدعاة تحضير روح الميت حضر قرينه وأجاب على ما يوجه اليه من الأسئلة .

أخبـار صوفية

لجنة شئون العالم الاسلامى

• اجتمعت لجنة شئون العالم الاسلامى بدار المشيخة العامة مساء يوم الخميس ٢ من ذى الحجة عام ١٣٧٧هـ ١٩ يونية عام ١٩٥٨ برياسة سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية وناقشت المنهج الذى حدد أغراض اللجنة ووسائلها ٠٠ والنقط البارزة فى هذا المنهج هى :

أ ـ الطرق الصوفية جامعة اسلامية عالمية تعمل على نشر تعاليم الاسلام وتطبيق مبادئه

ب ـ ولقد استطاعت الطرق الصوفية خلال التاريخ أن تحمى المجتمع الاسلامى من الانهيار والتحلل أمام الغزو الحربى والفكرى والروحى ٠ وأن تحفظ له مثالياته ٠ وأن تبقى على ايمانه حيا حارا فى قلبه ٠

ثم اقترحت اللجنة لتحقيق منهجها ، تنظيم نشـــاط الطرق التوجيهى والتربوى على أسس علمية ودراسة نشاط هذه الطرق فى العالم الاســلامى والعمل على تضامنها وتعاونها مع تبادل الزيارات فيما بينها ٠

أن تتولى المشيخة العامة تزويد الطرق فى سائر أنحاء الامة الاسلامية بالكتب والنشرات والمطبوعات التى تصدرها

وتوجيه الدعوة الى عقد مؤتمرات صوفية عامة تجمع ممثلين لجميع البلاد العربية والاسلامية

• خلت ثلاث طرق صوفية من مشـــايخها ، بانتقالهم الى رحمة الله ٠ وهذه الطرق هى :

السادة العفيفية ، بوفاة شيخها ، السيد عبد الباقى العفيفى ، والسادة الشرنوبية بوفاة السيد محمد سعيد الشرنوبى ، والسادة الصاوية ، بوفاة فضيلة الشيخ أحمد الصاوى ، والمشيخة العـامة فى طريقهـا الى تعيين مشايخ لهذه الطرق من أبنائها الذين تتوافر فيهم شروط التقوى والعلم والتفانى فى خدمة الطريق ، ورسالة التصوف

• تتخذ الشيخة العامة عدتها لتعيين وكلاء للمشيخة فى الاماكن الخالية بالمراكز والمديريات كما تستعرض نشاط بعض الوكلاء تمهيدا لتعيين الاكفاء القادرين من ذوى النشاط والاخلاص والخبرة ٠

• وافق سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية على التشكيل النهـــائى « للجنة الصوفية للنشر والتأليف » وقد تكون مجلس ادارتها من الســادة الاساتذة :

الدكتور محمد مصطفى حلمى ، الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى ، السيد عبد المنعم الحلوانى ، محمد لبيب البوهى ، أبو الوفا التفتازانى ، محمد صبيح ، طه عبد الباقى سرور .

وستتولى اللجنة اعداد سلسلة كتب شهرية ، تعالج مختلف النواحى الاسلامية والصوفية ، وتؤرخ للشخصيات ذات الأثر فى الفكر الاسلامى والروحانية الايمانية .

• زار الدكتور محمد حسن الاعظمى رئيس المؤتمر الاسلامى بكراتشى بالباكستان ، سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ملتمسا منه أن تعمل مشيخة الطرق على الاتصال بالطرق الصوفية فى الباكستان باعتبارها أهم الطوائف فى تلك الدولة الاسلامية الكبيرة

• تقرر دعوة كبار الشخصيات العربية والاسلامية لالقاء محاضرات توجيهية فى المقر العام لمشيخة الطرق الصوفية .

• تقرر تكوين رابطة لوكلاء المشيخة العامة بالجمهورية العربية المتحدة لتوثيق الصلات بينهم ، وتعاونهم على خدمة الطريق وابنائه ، فى اخوة ومودة ، ونشاط أكبر

• أخذ رجال الاستشراق فى سائر أنحاء العالم يطلبون الاشتراك فى « مجلة الاسلام والتصوف » للاستعانة بمادتها العلمية .

دعوة لوكلاء المشيخة بالمديريات والمراكز

قرر سماحة السيد محمد محمود علوان دعوة وكلاء المشيخة بالمديريات والمراكز الى اجتماع عام بدار المشيخة عقب صلاة المغرب مباشرة من مساء يوم ٢٣ من ذى الحجة ١٣٧٧هـ ١٠ يوليو ١٩٥٨م

والمرجو من السادة الوكلاء الذين لم تصلهم الدعوة اعتبار هذه النشرة دعوة موجهة الى كل فرد منهم .. ولاهمية الاجتماع نرجو عدم التخلف .

• تقوم مشيخة الطريقة الرفاعية بحركة تنظيم بين صفوف رجالها تمهيدا لنشاط روحى كبير اعتزمت القيام به . وقد فصلت أحد عشر نائبا من نوابها .

• تقرر انشاء مراكز للثقافة الصوفية فى عواصم المديريات والمحافظات لنشر الوعى الصوفى ، وآداب الطريق ، بين الجماهير

• تألفت جمعية روحية فى القاهرة ، اتخذت لها اسم « جمعية أبوالهول الروحية » واختارت مقرا لها بحى المنيرة ، وتضم هذه الجمعية طائفة من

أصحاب المناصب الكبيرة الحالية والسابقة ، من بينهم الاساتذة : عبد الفتاح عسل سفير مصر السابق بأسبانيا ، وطاهر العمرى سفيرنا السابق فى الفاتيكان ، والدكتور على عبد الجليل راضى ، الاستاذ بكلية العلوم

• ينتظر أن يتقرر تدريس التصوف الاسلامى فى كليات الازهر أسوة بالجامعات المصرية ، والجامعات العالمية ، التى تولى هذا الجانب من المعرفة العليا ، كل رعاية وتقدير •

• رفع الاستاذ ابراهيم محمد حماد نائب الطريقة البيومية بالاسكندرية الى سماحة شيخ المشايخ مذكرة تضمنت عدة اقتراحات وتنظيمات صوفية وتدرس المشيخة العامة ، هذه المذكرة لاعتماد ما تراه صالحا ونافعا

• طلبت جامعة أكسفورد من دار المطبوعات الحديثة بالقاهرة امدادها بنسختين من كل كتاب صوفى يصدره الاستاذ طه عبد الباقى سرور ، لايداعها مكتبتها كمراجع لمادة التصوف الاسلامى

• يصدر خلال أيام قرار وزارى بتسهيل اجراءات تصدير الكتاب المصرى ، والصحف المصرية الى الاسواق العالمية وقد وافق الدكتور عبدالمنعم القيسونى على منح التسهيلات المطلوبة ، بعد أن استمع الى وجهة نظر الاستاذ يوسف السباعى سكرتير عام لمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب•

• يمضى الدكتور طه حسين وقته الان بين مراجع التاريخ الاسلامى لاعداد كتاب باسم « مرآيا الاسلام » بتكليف من المؤتمر الاسلامى • أسوة بكتاب الاستاذ عباس محمود العقاد عن « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه»

• اتصل المؤتمر الاسلامى العام بطائفة من الكتاب والمؤلفين أصحاب الاقلام الاسلامية للتعاقد معهم على اصدار كتب تتناول شئون العالم الاسلامى ، وحياة أممه وشعوبه

• يفكر المؤتمر الاسلامى فى اعداد أشرطة سينمائية قصيرة ، عن الحج وشهر رمضان وموالد الاولياء لعرضها فى سائر أنحاء العالم ، كدعاية للاسلام وعباداته •

فضيلة الشيخ أحمد الصاوى

انتقل الى رحمة الله فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الصاوى شيخ مشايخ الطرق الصوفية السابق ، وشيخ السادة الصاوية ، والعالم الاسلامى الكبير ، والمربى الصوفى الجليل

ولقد كان فضيلته من أوائل تلاميذ الامام الشيخ محمد عبده الذين عاونوه فى فكرته ودعوته ، ومن رواد التصوف الاسلامى ، الذين خدموا رسالته فى صدق وأمانة واخلاص وعلم مبصر ، وفهم مشرق ، وزهد وتقوى

تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، وحشره مع الصديقين والشهداء ، والهم آله الصبر والعزاء •

الهيئة الزراعية المصرية

كيماويات فعالة لمقاومة الآفات تقدمها لكم الهيئة الزراعية المصرية

وفرت الهيئة الزراعية المصرية للزراع فى الاقليم الجنوبى بالجمهورية العربية المتحدة كميات كبيرة من الكيماويات لمقاومة الآفات التى تعد أساسا هاما فى نجاح الزراعة بالبلاد وفيما يلى بيانها :

أولا ـ الكيماويات الآتية للموسم الحالى تحت الطلب بالمخازن :

	جنيه	الاستعمال
نوكسافين	٢٥٥	للطن مقاومة دودة القطن وديدان اللوز
كبريت قابل للبلل	٦٠	« مقاومة مرض البياض الدقيقى
كبريت ميكرونى	٢٢٠	« مقاومة مرض البياض الدقيقى
اوكسيد النحاسوز	٥٥٠	« مقاومة مرض البياض الزغبى والندوة المبكرة والمتأخرة ومرض اللايكنز
د٠د٠ت ١٠ ٪	١٢٠	« مقاومة دودة ورق القطن وحشرات المخازن والحشرات المنزلية
رزنيخات الجير	١٠٠	« مقاومة دودة ورق القطن فى العنب وحشرة الحمراء فى المقات
ايكاتين	١٫٥	للتر لمقاومة المن والعنكبوت الاحمر فى القطن وغيره
رشاشات بذراع جانبى	٢٤	للواحدة للرش بطريقة الرذاذ

هذه الاثمان تسليم مخازن الهيئة ٠

اطلب قطع غيار الرشاشات والموتورات من الهيئة الزراعية المصرية ص٠ب ٦٣ القاهرة

ثانيا ـ كيماويات فى الطريق الى مخازن الهيئة :

اكوسيكلورور النحاس	٢٩٠	للطن لمقاومة مرض البياض الزغبى والندوة المبكرة والمتأخرة
فوسفيد الزنك	٣٠٠	« لمقاومة الحفار
د٠د٠ت مستحلب ٢٥ ٠ ٠	٢١٠	« لمقاومة ديدان اللوز فى القطن ولتطهير المخازن
د٠د٠ت قابل قابل للبلل	٢٠٠	« لمقاومة الثاقبات فى الذرة
كبريت عمود	٤٥	« لمقاومة مرض البياض الدقيق والعنكبوت الاحمر فى المقات
كوتن دست	١٢٠	« لمقاومة دودة ورق القطن فى المحاصيل المختلفة

ثالثا ـ قريبا تصل الى الهيئة الكيماويات الآتية :

لندين مستحلب أو قابل للبلل ـ سلفات نيكوتين ـ مركبات فوسفورية مختلفة

انشاء مبنى مجمع
للهيئة العامة للاصلاح الزراعى (بالدقى)

تعلن الهيئة العامة للاصلاح الزراعى بالقاهرة عن مناقصة مشروع بناء مبنى مجمع بالدقى ، وتشمل المقايسة الاعمال الاعتيادية والخرسانية والاعمال الصحية والنجارة والتركيبات الكهربائية ، وذلك وفقا للمواصفات والشروط المحفوظة بمخازن الهيئة بميدان الجمهورية بالقاهرة ، ويمكن الحصول عليها نظير مبلغ خمسة عشر جنيها يزاد مائتان مليما فى حالة الارسال بالبريد

وقد تحدد لذلك ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩٥٨/٧/١٥ موعدا لفتح المظاريف ، على أن تكون العطاءات مصحوبة بتأمين قدره ٢ ٠/٠ من قيمة العطاء يكمل الى ١٠ ٠/٠ عند رسو العطاء ٠

دار القاهرة للطباعة

دار القاهرة للطباعة
٢٦ شارع منصور